كيف تكون قائداً جديراً

مبادئ في القيادة

ليروي إيمز

دار النشر المعمدانية

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

تصدير

لقد أُتيحت لي الفرصة لمتابعة وملاحظة ليروي إيمز خلال عقدين من السنين، وهو يقوم بدور الرائد. رأيته يخلق، بعد صبر وجهاد، روَّاداً من شبان لم يكن يبدو أن لهم هدفاً في الحياة. كما رأيته يقوم بإدارة مراكز التدريب لإعداد طلاب جامعيين يقومون بالخدمة المسيحية الفعلية والهداية. ولكونه قوياً في الانضباط الشخصي، فقد تمكّن من أن يَطْبَع في نفوسهم حياة منظمة.

كان إيمز ممن أجادوا دراسة الكتاب المقدس، ولقد ركّز في محتويات هذا الكتاب على مبادئ كتابية ثابتة، وهو يظهر مبدئياً طرق الله في القيادة، ثم يوضح هذه الطرق بأمثال كتابية، وفي الوقت ذاته بتجارب شخصية متعددة. وبكلمة أخرى هو لا يعلّم نظرية مثالية بل مبادئ القيادة المبنية على الكتاب المقدس والمجرَّبة في الحياة الشخصية.

ولعله من المفيد للعاملين المسيحيين وللروَّاد أن يقرأوا هذا الكتاب ويعيدوا قراءته، وأن يطبِّقوا عملياً هذه المبادئ الأساسية للقيادة الروحية التي ثبتت صحّتها. كما أعتقد أن هذا الكتاب يصلح كدليل للروّاد ليستعملوه في تدريب الآخرين. لذلك فإني أوصي به المؤمنين في كل مكان.

ثيودور هـ. أ ب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدّمَة

هناك أزمة قيادة تعمّ العالم، فالقادة السياسيون وأخصَّاء الاقتصاد وكتاب النشر والمراسلون والمحاضرون في ميادين التعليم والديانة يرفعون الصوت عالياً. لأن الرجال الذين لديهم المعرفة والقدرة على توجيه الآخرين في الطريق القويم أصبحوا قلّة قليلة.

فالقيادة تختلف بين الجودة والسوء، وبين الفاعلية والعجز، وبين الإيجابية والسلبية، وبين الصواب والخطأ.

علينا أن نرى القيادة من وجهة نظر الكتاب المقدس. إن أسفار العهد القديم والعهد الجديد مملوءة من الحقائق الأبدية التي تتعلق بهذا الموضوع، كما أن تعاليم المسيح نفسه تفيض بالمبادئ الواضحة والصريحة. وهدفي هو تحليل هذه التعاليم الكتابية وتطبيقها.

إن هذا الكتاب يسلك نهجاً مرفقاً بالصلاة إلى الله كي يسمح باستعماله كأداة لزيادة عدد الرجال والنساء الذين هم روَّاد وقادة صادقون لكلمة الله، أمناء ليسوع المسيح، ملتزمون بعمل الله وإتمام إرادته.

ليروي إيمز

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الأول

مَن هوَ الكفؤ ليقود؟

قبل أن يتحمل الإنسان مسؤولية القيادة، يجب عليه أن يزن الأمور بتؤدة. "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يعقوب ٣: ١) فإن القائد يكون معرَّضاً للنقد القاسي الصارم أكثر من أتباعه. لذلك وجب علينا التفكير أمام هذا الوضع.

كما أن الجملة التالية في الإصحاح ذاته تؤدي إلى ما يتبع ذلك "لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا". إننا نعرف أنفسنا ونعرف أننا كثيراً ما نزلّ. إننا نتعثَّر بطرق كثيرة، وما دام الأمر كذلك فإننا بالطبع نتردَّد قبل أن نقرِّر القيام بقيادة الآخرين.

ومع ذلك فإن من الجليّ الواضح عند تحليل حياة كبار القادة أمام الله، أن هذا الشعور بعدم الكفاءة ليس بالسبب الكافي لرفض العمل، فنحن على كل حال خطاة أمام الله. إذ من منا يمكنه الإدعاء بأنه لم يخفق بطرق مختلفة، وفي مواقف عديدة؟ فإذا كان ذلك سبباً كافياً لعدم التقدم وتحمُّل مسؤولية القيادة، فلن يتمكن أحد من قيادة أحد.

دعنا نلقي نظرة على بعض القادة الذين اختارهم الله فيما مضى، وكيف كان ردّ الفعل لديهم عندما جوبهوا بالدعوة للقيام بواجب القيادة.

دعوة موسى: أنظر إلى موسى عندما كان في الصحراء يرعى غنم حميه يثرون، عندما أتته دعوة الله. إن ما حدث هو أن ذلك الرجل الذي نال ثقافة عالية في مصر، والذي كان معتاداً على حياة الترف والرفاهية في مصر، أصبح يعمل عملاً حقيراً، الأمر الذي أذاقه مرارة الذلّ والهوان, كان رعي الغنم مهنة السذّج والجهلة. كان من الممكن أن يقبع موسى نادباً سوء حظه وما أحاط به من بؤس وتعاسة، فيفوته سماع الدعوة أو تلبيتها. ومما زاد الطين بلّة هو أنه كان يعمل لحساب حميِهِ.

وعندئذ حصل شيء غريب ورائع، فقد "ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط علَّيقة، فنظر وإذا العلّيقة تتوقَّد بالنار والعلّيقة لم تكن تحترق" (خروج ٣: ٢).

وكان أوَّل ما فعله الله أن عرَّف عن نفسه لموسى، ولقد تأكد موسى أن الله كان يكلِّمه. إن هذا أمر يجب أن تتأكد منه في أعماق نفسك. إذ عندما يأتي إليك من يدعوك لتقوم بخدمة، بطريقة أو بأخرى، عليك أن تتأكد من أن هذا الموضوع يختصّ بالله. لا تتزحزح قيد أنملة- سواء بالقبول أو بالرفض- حتى تتحقَّق من إرادة الله في الأمر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد تعرف أحياناً إرادة الله في الحال، وقد تنتظر توضيحاً من الله في مرّات أخرى, ولكن كن على ثقة من أن الله سيعرِّفك بإرادته. إن أبانا الذي في السموات قادر على الاتّصال بأولاده. الله سوف يثبت إرادته لك في المسألة. لا يريد لنا أن نعيش في حيرة وشك.

بما أن الله مهتم بما نعمل، فسوف يوضح لنا إرادته. لقد وعد بذلك "أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، عيني عليك" (مزمور ٣٢: ٨). لاحظ ضمير المتكلم في هذه الآية العائد إلى الله إذ يظهر مرتين. فالإرشاد هو مسؤولية الله. التأكيد على الإرشاد هو القاعدة في الكتاب المقدس، كما هو التأكيد على الغفران. لاحظ أيضاً قول الله: "أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها". إنه يرينا الطريق للسير، إنه تأكيد مبارك.

هناك وعد آخر في (المزمور ٤٨: ١٤) "لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد، هو يهدينا حتى إلى الموت". إن كلمات هذا الوعد لا تخطئ أبداً "إنه سيكون هادينا". إذن يمكنك الاعتماد على إرادته وقدرته ليريك ما هي إرادته نحوك. وكما فعل موسى يمكنك التأكد من أن الله هو الذي يتكلم.

وما حدث بعد ذلك هو أن الله أوحى إلى موسى بما يتوجب عليه نحو شعبه. "فقال الرب إني قد رأيت مذلّة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخِّريهم. إني علمت أوجاعهم" (خروج ٣: ٧). وتذكرون كيف كان موسى مثقلاً بأعباء المسؤولية عن بني إسرائيل عندما أخرجهم من تحت نير فرعون، وقد تشجَّع عندما علم أن الله نفسه مهتم بهم أيضاً.

وهنا صرَّح الله تصريحاً مثيراً "فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً" (خروج ٣: ٨). هل يمكنك أن تتصوَّر الفرح والابتهاج اللذين غمرا موسى في تلك اللحظة؟ إن الله الحيّ سوف يشارك في تخليص الشعب.

ثم أضاف الله تصريحاً أربك موسى. "فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" (خروج ٣: ١٠).

هل تتصوّر معي الأسئلة التي لا بد ازدحمت في فكر موسى؟ "لكن يا مولاي، ظننت أنك ستنزل وتخلِّصهم، فما الداعي إذن لأن أذهب أنا إلى فرعون، وأخرج أنا بني إسرائيل؟ ما دمت يا مولاي ستنزل أنت وتخلّصهم، فما الحاجة لذهابي أنا؟".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم أن ذلك سؤال هام، وعلى كلٍّ منا أن يجد الإجابة عنه في أعماق نفسه. وعندما نفهم أن الإنسان هو مركز الدائرة في إتمام الله لمخطَّطاته ومقاصده، حينئذٍ ندرك ما هو دورنا في ملكوت الله.

وهذا ما حدث مع موسى، فقد كان لدى الله عمل ليقوم به موسى، ومع ذلك لم يشعر موسى بأهليَّته للقيام بذلك العمل، فصرخ بسؤاله أمام الله: من أنا؟

وبالطبع لم يكن هذا سؤالاً تصعب الإجابة عنه. لأن من السهل على الله الإجابة عنه بكلمتين: "أنت موسى". ولكن السؤال كان غير ذي موضوع. ولذا لم يأبه الرب بالإجابة عنه.

وهنا يكمن أحد أكبر أسرار القيادة في مشروع المسيحية. وقال الله: "بالطبع سوف أكون معك". لقد كان الرب يريد إفهام موسى حقيقة جبّارة. وكأنه يقول "يا موسى، ليس مهماً من تكون، وإن كنت تشعر بأنك كفؤ أم لا، وهل أنت قادر على القيام بالواجب أم لا. من المؤكد أني سأكون هناك. وما قلته لك يبقى سارياً. سأنزل لأنقذهم. سأعمل ذلك، وسأعطيك الامتياز لتكون معي. ستكون الأداة التي يتم الإنقاذ بها".

في جميع الأحوال تذكَّر هذه الحقيقة عندما يدعوك الله لحمل مسؤولية القيادة في أعماله. إن الله لا يبحث عمن يشعرون بالكفاءة. قال بولس: "ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله" (٢ كورنثوس ٣: ٥).

إني متأكد من أن الشعور بالحاجة وعدم الكفاءة، يمكن أن يكون مصدراً للقوة بدلاً من نقطة ضعف، إذ أن شهادة بولس تعني ذلك. "فقال لي تكفيك نعمتي، لأن قوَّتي في الضَّعف تُكْمَل، فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح. لذلك أُسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قويّ" (٢ كورنثوس ١٢: ٩ – ١٠).

إن بعضهم يُدهَشون من ذلك ويقولون: هل تعني أن بولس الرسول كان يشعر بذلك فعلاً؟ والجواب على ذلك هو نعم. وهذا بلا شك ساهم إلى حد بعيد في عظمته.

أما الدرس الثاني الذي نتعلَّمه عند النظر إلى دعوة موسى فإنه عظيم الأهميّة. من الصحيح أن نعي عدم كفايتنا، ولكن يجب ألاَّ نتوقَّف عند هذا، بل يجب أن نقتنع بكفاية الله المطلقة. وكانت تلك خطوة الله التالية في التعامل مع موسى.

وطرح موسى سؤالاً آخر. "ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم؟" (خروج ٣: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكانت إجابة الله عن ذلك السؤال إجابة رائعة. "وقال الله لموسى أهيه الذي اهيه. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أرسلني إليكم. فقال الله أيضاً لموسى. هكذا تقول لبني إسرائيل. يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور" (خروج ٣: ١٤ -١٥).

لقد كنت شاباً مسيحياً يافعاً، وقد ارتبكت بهذه الإجابة لمدة طويلة. ماذا عنى الله عندما عرَّف عن نفسه بقوله أنه "أهيه الذي اهيه"؟ إن أهيه هو فعل مضارع في العبرية ويعني "أكون"، وهذا هو أيضاً معنى اسم يهوه. إنه الكائن الدائم. يطلبه الإنسان فيجده. لقد كان، ويكون الآن، وسيكون إلى الأبد. إذا دعاك الله لتقوم بواجب معيَّن، تجد نفسك بحاجة لتعرف أن الله الذي يدعوك هو هو دائم الوجود لكي يدعمك.

والأهم هو أن شعورنا الدائم بالحاجة، يجعلنا دائمي التركيز على هذه الحقيقة. هل نحن في حاجة إلى تعزية؟ نسمع الرب يقول: أنا هو، أنا أهيه. "ملقين كل همّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم" (١ بطرس ٥: ٧). هل نحن بحاجة للانتصار على خطيئة تزعجنا؟ يجيبنا: أنا انتصاركم. "ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" (١ كورنثوس ١٥ : ٥٧). هل نحن بحاجة إلى محبَّة؟ "الله محبَّة" (١ يوحنا ٤: ٨)، وهكذا دواليك بالنسبة لكل الاحتياجات. فإن الله هو الكفاية الدائمة الحاضر دائماً لسدّ جميعها. إنه الكائن الدائم الذي لا يخيِّب شعبه.

وعليه فمن الحق أن نُقِرَّ بعدم كفايتنا، ولكن يجب ألاَّ نتوقَّف عند هذا، وإلاَّ لوجدنا أنفسنا في مأزق. يجب علينا إذن الاستمرار لنقرّ بمقدرة الله وكفاءته وكفايته، لمجابهة أية تجربة وللتغلُّب على أية مشكلة ولإحراز أي انتصار. لقد احتاج موسى لبعض الوقت حتى أدرك هذه الحقيقة، بعد هذا استخدمه الله بقوة.

دعوة جدعون: لكي نقوّي في أذهاننا هذه الحقيقة الضرورية المطلقة، المتعلقة بكفاية الله، دعونا ندرس حالة رجل آخر كان على وشك أن يدعوه الله. نقرأ عن المعارك الكبرى التي خاضها جدعون وخرج منها منتصراً. إنه، بحفنة من الرجال، دحر جيوش العدو وأرغمها على الفرار. فهل كان دائماً هكذا- مقداماً شجاعاً لامعاً باسلاً؟ لم يكن هكذا دائماً.

لقد كان بنو إسرائيل يتعذّبون تحت وطأة المديانيين، فقد كانوا يختبئون في الكهوف والمغاور في الجبال، وكان المديانيون يغزون أراضيهم فيجمعون محصولاتهم، ويستولون على مواشيهم. كان المديانيون يحلّون حلول الكارثة، ينتشرون كالجراد ويستهلكون كل شيء عند عبورهم الأرض. أما معضلة بني إسرائيل فكانت خطيئتهم. "وعمل بنو إسرائيل الشرّ في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين" (قضاة ٦ : ١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي إحدى الليالي، بينما كان جدعون يخبط حنطة في المعصرة لكي يهرِّبها من المديانيين. ظهر له ملاك الرب، وطلب منه أن يكون الأداة لكي يخلِّص الله بها شعبه من يد المديانيين.

وكان ردَ جدعون مما ألف الله سماعه: "فقال جدعون أسألك يا سيدي بماذا أخلّص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الذلّى في منسىّ وأنا الأصغر في بيت أبي" (قضاة ٦: ١٥).

ومرة أخرى تطرَّق الله إلى لبّ الموضوع مع الرجل الذي اختاره للعمل "فقال له الرب، إني سأكون معك، وستضرب المديانيين كرجل واحد" (قضاة ٦: ١٦).

وهنا نستطيع ملاحظة التشابه مع ما قاله الله لموسى من وسط العلَّيقة المشتعلة. لقد قال الله لجدعون ما معناه: لا يهمّ إن كانت عشيرتك العظمى أو الذلّى في منسىَّ، أو كنت أنت الأكبر أو الأصغر في بيت أبيك. ليس المهمّ من تكون أنت، بل المهمّ أني سأكون معك. إن ما ستعتمد عليه ليس ضعفك بل قوّتي، لأني سأعمل من خلالك.

إذن، إذا دعاك الله للقيام بواجب، وشعرت بالضعف والعجز، فلا تتحيَّر بل استبشر لأنك أصبحت برفقة الله. لقد شعر رجال الله خلال القرون الماضية الشعور ذاته، ولكنهم آمنوا بأن الله كفؤ للقيام بالعمل الذي دعاهم إليه.

دعوة إرميا: هناك شخص أخر ينبغي أن نلقي نظرة عليه، في ما يتعلَّق بهذا الموضوع. إنه إرميا، أحد أنبياء الله الكبار. كان إرميا أميناً لدعوة الله، ولطالما تألَّم من أجل إيمانه ودعوته. ولكن كيف أتته الدعوة؟ وكيف تجاوب إرميا عندما ناداه الله وطلب إليه أن يحمل على عاتقه مسؤولية إرشاد شعب المملكة؟ دعونا نرى ما ورد في الكتاب. "فكانت كلمة الله إليَّ قائلاً، قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك، وجعلتك نبياً للشعوب" (إرميا١: ٤-٥).

كانت مهمة النبي الأساسية أن ينادي بكلمة الله. فكيف أجاب إرميا عن هذا التحدّي؟ هل اغتنم الفرصة في الحال بإيمان وحماسة؟ لا، بل كان جوابه مماثلاً لجواب كل من موسى وجدعون، إذ قال "فقلت آه يا سيد الرب، إني لا أعرف أن أتكلَّم لأني ولد" (إرميا ١: ٦). كان في جوابه الإقرار بعدم الكفاءة، ولم يشعر بأنه أهل للمهمَّة التي دعاه الله إليها.

وماذا كان ردّ الله على ذلك؟ لقد أجاب إرميا: "لا تَقُل أني ولدٌ، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب، وتتكلَّم بكل ما آمرك به. لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك" (إرميا ١: ٧- ٨). وهنا يجب ملاحظة وعد الله "أنا معك". ومرة أخرى نرى بوضوح أن المهمّ هو أن الله موجود وحاضر مع المؤمن. إنه الإله الكلّيّ الحكمة والكلّيّ المقدرة والكلّيّ الكفاءة. وهو الذي سيكون إلى جانبه ليشدّ أزره. إن هذا ما يؤكّد عليه الله ويظلّ يردِّده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي حالة إرميا بالذات، لم يكن وعد الله له جنة ملأى بالورود، بل أكّد له حضوره وحمايته وهدايته دائماً وأبداً. "فيحاربونك ولا يقدرون عليك، لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك". (إرميا ١: ١٩ وانظر أيضاً ١٥: ٢٠ و٢٠: ١١).

دعوات أخرى- في الماضي والحاضر

هل تذكرون آخر دعوة، بل آخر تكليف أعطاه الرب يسوع المسيح لأتباعه؟ "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" وأضاف إلى هذه المهمة التي كلفهم بها وعده العظيم "وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ١٨: ١٩، ٢٠). إن الله لا يزال يعطينا الأساس نفسه لخدمته بأمانة، كما أعطاه لقدماء الأبطال في الإيمان، والأساس هو: "أنا معكم".

دعيتُ قبل بضع سنوات لألقي كلمة خلال رياضة روحية في إحدى مدارس الأحد، وكان جيم رايبورن، مؤسس حركة حياة الشباب، يدرِّس طوال سنوات في صف الكبار للكنيسة المشيخيَّة في مدينة كولورادو سبرنغر. كانت مدرسة تلك الكنيسة تقوم بعمل رياضة روحية، وقد طلبوا من جماعة "الملاّحين" إرسال مُحَاضِر. وكان الأخ رود سارجنت وهو من وُجِّهت إليه الدعوة، غير قادر على الذهاب، فدعاني إلى مكتبه واقترح عليَّ أن أقوم أنا بتلك المهمة.

لقد جمدت، إذ ماذا أستطيع أن أقدِّم لصف يشرف عليه رجل مثل جيم رايبورن؟ إن صفاً يقوم بالتدريس فيه أحد رجال الله الكبار هو فوق مستواي. وخطر لي أن يكون ردّي على الإقتراح مثل القول "أنا ولد ولا يمكنني أن أتكلَّم". في ذلك الوقت كنت حديث الإيمان، ولم يمضِ عليَّ أكثر من سبع سنوات في معرفة الخلاص. ثم أن أكثر الموجودين في تلك المدرسة يفوقونني في السن وفي المعرفة. وعليه بدأت أحاول شرح الأمر والإعتذار، وطلبت من رود أن يجد شخصاً آخر يقوم بتلك المهمة.

جلس رود قبالتي ساكناً ينظر إليَّ دون أن ينبس ببنت شفة. وبعد فترة وجيزة تكلَّم قائلاً: "يا ليروي، هناك شيء لاحظته فيك، وهو رغبتك في السير في الطريق السهل وتجنُّب القيام بخطوة جريئة بإيمان وثقة". ثم طلب مني أن أفكر لبرهة وأصلّي حول الأمر.

وفعلاً فعلت ذلك، وعلى الرغم من أني كنت لم أزل أشعر بعدم الكفاءة تجاه ذلك الواجب، فقد ألهمني الله بالقبول. ولا أحتاج أن أقول أني هيأت نفسي قبل الصف بدرس مكثَّف وساعات من الصلاة بقدر ما استطعت.

وكم كان فرحي شديداً بإتمام الرياضة الروحية على ما يرام، ولقد أحسست فعلاً بقيادة الله وقوته المعطاة. وبذا علَّمني الرب درساً مفيداً خلال هذا الموقف كان أقل ما فيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تلك الحقيقة وهي أن عليَّ ألاَّ ألجأ إلى الموقف السهل. وكانت هذه التجربة مفيدة لي رغم قسوتها، ولقد شعرت بقيمتها سنين عديدة.

ثم هناك شيء آخر قد يستعمله الشيطان ليمنعنا من التقدُّم بإيمان والاستجابة لدعوة الله، وهو ما قد يكون في خلفيَّتنا وماضينا ويظل يساورنا ويزعجنا. قد نظن هذا عائقاً يضرُّ بالعمل ولا نستطيع التغلُّب عليه. لكن الكتاب المقدس يذكِّرنا مرة أخرى بخطأ هذا الظن.

كان بولس قبل إيمانه فظّاً قاتلاً، وقد أمضى وقتاً طويلاً وبذل جهداً كبيراً في اضطهاد كنيسة الله. لقد اعترف بخجل فيما بعد وهو يصلّي: "إني كنت أحبس وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك. وحين سُفِكَ دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه" (أعمال ٢٢: ١٩ – ٢٠).

وكتب بولس فيما بعد واصفاً نفسه فقال: "أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله" (١ كورنثوس ١٥: ٩)، ولكنه كتب أيضاً "وأنا أشكر المسيح يسوع ربَّنا الذي قوَّاني، أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة، أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً" (١ تيموثاوس ١: ١٢ – ١٣).

كان بولس رجلاً ذا ماضٍ مظلم يجعله غير صالح لخدمة الله. لكنه أصبح مع ذلك الرسول الكبير للأمم، وقد استعمله الله في كتابة كثير من أسفار العهد الجديد.

هناك أناس آخرون تشوَّهت حياتهم بلطخات سود لكنهم أصبحوا فيما بعد عاملين في خدمة الله. إني أتذكَّر يوحنا مرقس. لقد برهن هذا الشاب، في أثناء مرافقته لبولس وبرنابا في رحلتهما الأولى، أنه ليس أهلاً للاعتماد عليه. فعندما خطَّط هذان الرسولان لرحلتهما الثانية رفض بولس قبول يوحنا مرقس في رفقته بسبب إخفاقه السابق. (انظر أعمال ١٥: ٣٦ -٣٨).

ومع ذلك فقد اختار الله هذا الرجل فيما بعد ليكتب إنجيل مرقس الذي قدَّم للعالم ابن الله الخادم الأمين إلى الأبد. ولم يكن ماضي مرقس الأساسي هو الذي بنى عليه الله اختياره لمرقس للقيام بواجبه.

اختار الله داود ليكون قائداً ومرشداً لشعبه وليكون الرأس الإداري للحكومة، مع أنه لم يكن أصلاً سوى راعي غنم على هضاب بيت لحم. ولكن الله دعاه، وقد قبل الدعوة بصرف النظر عن ماضيه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذن عندما يدعوكم الله للقيام بواجب، فلا تسمحوا للشعور بعدم الكفاءة وانعدام الماضي المشرِّف أن يعوقكم عن تلبية الدعوة. "لأن الله هو العامل فيكم، أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة" (فيلبي ٢: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني

مَصْدَر قوّة القائد

قد يكون ضعف الطاقة كارثة في بعض الأحيان. فالمستشفيات وغيرها من المؤسسات الحيوية تقتني أشياء احتياطية كمولّدات الطاقة بقصد تشغيلها في حالة انقطاع التيار الكهربائي. ويجب أن تبقى هذه المولّدات صالحة للعمل وفي حالة تأهُّب، إذ أن أرواح البشر متعلقة بها. فالطاقة وطرق استعمالها يمثّلان نقطة الحرج في المجتمع الصناعي.

يعاني العالم أجمع من أزمة الطاقة أو الوقود في أيامنا هذه. فالناس يقودون سياراتهم بسرعة مخفَّضة. ولم يعودوا يصرّون على تدفئة كاملة شتاءً أو على تبريد كامل في بيوتهم صيفاً، وكل ذلك رغبة في الإقتصاد. إن صفوف طائرات الجمبو ٧٤٧ متوقفة في مرابض صحراوية، لقلة عدد الرحلات التي تقوم بها، وذلك بسبب ارتفاع أسعار الوقود. فهذه العجائب العملاقة لعصر الفضاء، والتي صنعت كي تعبر القارات والمحيطات في ساعات، نجدها تجثم على الأرض بلا حراك. إذ عندما يجف ينبوع الوقود أو الطاقة تقلّ الحركة بل تتوقف كلياً.

على القائد إذن أن يكون شديد الإنتباه لكل ذلك، إن عليه أن يتحقَّق من الإحتفاظ ببرنامجه وبمساعديه وبنفسه في حركة مستمرَّة. وهنا نتساءل: ما هو مصدر القوة أو الطاقة لكل ذلك؟ والجواب: الله.

الشركة: قال بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيلبي ٤: ١٣). وسبق داود فقال "الإله الذي يعززني بالقوة ويصيِّر طريقي كاملاً" (٢ صموئيل ٢٢: ٣٣). إذن الله هو مصدر قوَّتنا. ولكن الشركة مع الله هي التي توصِل التيّار وتجعل الطاقة عاملة ومؤثرة في حياتنا. ويعتبر أعظم استعداد لوصول داود إلى سدَّة الملك ذلك الوقت الذي قضاه مع الله، عندما كان يرعى قطعان الغنم في مرتفعات بيت لحم.

إن السنوات التي قضاها داود مع الله أتمَّت استعداده للقيادة تحت إشراف الله. ولعله، بالدرجة الأولى، راقب عمليات القيادة عندما كان شاباً يحيا في القصر. ولكن حياته مع الله، كانت ذات قيمة أعلى من حياته مع البشر. وكقائد للجيش ومنظِّم للشعب كان تهيُّؤه ضعيفاً من وجهة نظر الإنسان. فهو لم يتلقَّ دروساً جامعية، ولا حصل على دبلوم في إدارة الأعمال، لكنه كان يعرف الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذه النقطة بالذات، يكمن شر هجوم الشيطان. فهو يهتم بعملية انتسابك إلى قسم العلوم بالكلِّية، أو التحاقك بالجامعة. وعندما تصبح جادّاً في معرفة الله، خلال شركة حيوية معه، يحاول الشيطان أن يشنّ أقسى هجماته ليمنع بلوغك الهدف. وعندئذ تجد جدول أعمالك معطَّلا ًوعدداً من المواضيع الهامّة معلّقة، فتصبح كثير المشاغل ولا وقت لديك للشركة مع الله.

لماذا يحاول عدو نفوسنا محاربة الوقت مع الله بهذه الضراوة؟ لأن للوقت قيمة أساسيَّة في حياة القائد. قد نسأل عن ماهيَّة المكافآت الروحية التي تنتظرنا كنتيجة لسيرنا بأمانة مع الله. وللإجابة عن هذا السؤال، يجب طرح سؤال آخر: ما هو الهدف النهائي للإنسان على الأرض؟ والجواب هو "بكلّ من دعي بإسمي، ولمجدي خلقته وجبلته وصنعته" (أشعيا ٤٣: ٧). "إن هدف الإنسان النهائي هو أن يمجِّد الله وينعم به إلى الأبد". إن هذا مقطع مشهور من تعليم وستمنستر الديني، ونجد أن كثيراً من الناس يحفظونه غيباً دون أن ينتبهوا لمعنى محتوياته وما يعني لحياتهم اليومية.

أذكر أني ناقشت مرة هذا الأمر مع بعض طلبة اللاهوت، وكانوا يعرفون أن هدف حياتنا على الأرض هو تمجيد الله. وكنت قد سألت أحدهم عما يجب على الإنسان القيام به من عمل، وكيف يمكنه أن يمجِّد الله. وهنا بدت على وجهه علامات الدهشة والخجل، وبابتسامة صفراء اعترف بأن ليس لديه أية فكرة عن الطريقة المثلى. فتصوَّروا أن يقف أمامكم عدد من الطلاب المتخصّصين في دراسة القيادة الروحية دون أن يكون لديهم فكرة محدَّدَة عن هدفهم المبدئيّ في الحياة.

دعوني أقدم درساً تعلَّمته في بداية حياتي كمسيحي. خلق الله الإنسان في البداية لكي يمجِّد إسمه. خلق الإنسان على صورته لكي تكون له شركة معه. وقد كان للرب صلة بالإنسان في جنة عدن، ولكن الإنسان أَخطأ وعَصَى الله. وهذا جلب العار على إسمه، وانطمست الصورة وفسدت الشركة. وعندما حان الوقت المناسب، قرَّر الله أن يجدِّد القوة الكامنة في الإنسان، كي يعود فيمجِّد إسم الله.

فهل كان هناك إنسان اجتمعت أفكاره وأقواله وأعماله لتمجيد إسم الله في كل ساعة من كل يوم من كل سنة في حياته؟ نعم، هناك إنسان واحد، هو الرب يسوع المسيح. ففي صلاة يسوع إلى الآب يقول عن نفسه: "أنا مجَّدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته" (يوحنا ١٧: ٤). لذلك، إن كنت أرغب في بلوغ هدفي النهائي في الحياة، والذي هو تمجيد الله، فعليَّ أن أتحوّل أكثر فأكثر إلى صورته. أي أن أصير مشابهاً المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن رغبة قلب الله هي أن يجعلنا مثل ابنه. "لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين" (رومية ٨: ٢٩). وهكذا يتمجَّد الله.

كيف أصير مثل المسيح؟ كيف يمكن لإنسان أن يصير مشابهاً لإنسان آخر؟ إن خير ما يفعله، هو أن يبقى قريباً منه، يتكلَّم معه ويعمل معه. هل عرفت زوجين عاشا معاً خمسين عاماً في محبة ووئام، واحتفلا بعيد زواجهما الذهبي؟ إنك لتجدهما يسلكان ويتصرفان بطريقة واحدة، ولهما ذوق واحد. وأن ما يسرَّ الواحد يسرَّ الآخر، بل قد ترى أنهما متشابهان في الهيئة أيضاً.

إني أذكر اليوم الذي تزوَّج فيه الملازم آل فايل، في البحرية الأميركية، بالآنسة مارجي أغو، وهي الفتاة اللطيفة الذكيّة، خريجة جامعة ستانفورد. لقد إلتقيا في مؤتمر مسيحي في كولورادو، وكان الملازم فايل قد أُعجب بالفتاة، وصار يكاتبها بعد انتهاء المؤتمر وأخيراً طلب يدها. وبعد بضعة أشهر اطمأنت مارجي إلى أن تلك خطة الله لحياتها فقبلت، واتفقا على موعد لزواجهما وتزوَّجا. وبعد ما يقرب من سنة، قمت بزيارتهما في منزلهما بفرجينيا.

عندما وصلت اعتذرت مارجي عن تأخيرها إيَّاي بضع دقائق إذ كانت تقوم بتنسيق غرفتي. وسمعتها تستخدم كلمة تستخدم عادة في البحريّة وتعجَّبْتُ. إذ كيف يهتم من تخرَّج من جامعة ستانفورد أن يستخدم تعبيراً كهذا. ثم تذكَّرت أن خريجة ستانفورد هذه قد أمضت سنة من الحياة الزوجية مع زوجها الملازم في البحرية. لقد أخذت عن زوجها أسلوب التنسيق وصارت تتصرَّف في حياتها ضمن هذا الإطار.

ثم عاد آل زوجها إلى المنزل ففوجئت إذ رأيته هو أيضاً قد تأثَّر كثيراً بزوجته. لقد عاشا معاً في شركة، وأصبحا يشبهان أحدهما الآخر.

إن هذا بالضبط ما يحدث معنا في علاقتنا بالله. ولكي نصير مشابهين صورة يسوع المسيح، يجب أن نمضي الكثير من وقتنا على إنفراد معه في شركة شخصية. فالقائد الذي يعيش حياة تعبُّدية ثابتة بدلاً من سلوك الطريق المتعرِّج يجد نفسه على اتصال حيّ بالله ويستخدمه الله بقوة. الواقع أن الله يريد أشخاصاً من هذا النوع، كما جاء في الكتاب المقدس "وطلبت من بينهم رجلاً يبني جداراً، ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد" (حزقيال ٢٢: ٣٠). إن هذا البحث جديد كالطفل الذي لم يولد بعد، وقديم مثل فجر الإنسانية. وعندما يجد الله إنساناً يكون همّه الأوّل في الحياة العلاقة الحميمة الشخصية للشركة مع الله، فإنه، أي الله، يوجِّه قوَّته وإرشاده وحكمته نحو ذلك الإنسان. يكون الله بهذا قد وجد إنساناً يمكن بواسطته تغيير العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة الله: هناك ثلاثة عناصر رئيسية تميّز الشركة مع الله. فهو يتّصل بنا أولاً بواسطة الكلمة. "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهّباً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧). كلمة الله هي العنصر الأول.

وعليه يجب أن نكون في الكلمة، وأن تكون الكلمة فينا. أن نكون في الكلمة يعني أن نسمعها إذ تُلقى علينا، وأن نقرأها، وندرسها، ونحفظها. وأن تكون الكلمة فينا يعني أن نتأمل فيها. فعندما نتأمل فيها تتخلَّل أفكارنا وتغيِّر حياتنا الروحية. إنها كالغذاء الطبيعي، فليس كل ما نبلعه ينفع أجسامنا بل ما نهضمه ونستوعبه. هذا هو التأمُّل، إذ أن التأمل هو أن نتعمَّق في معنى الكلمة، وأن نقلِّبها في ذهننا مليَّاً، تاركين ما هو سطحيّ ومتمسكين بما هو عميق. "كم أحببت شريعتك، اليوم كلَّه هي لهجي" (مزمور ١١٩: ٩٧).

ذهبت سنة ١٩٦٣ إلى لندن في دورة تبشيرية، وكان البرنامج يتضمَّن يوماً لزيارة معالم المدينة. لقد كلّف دافيد لايمبير، أحد أفراد الجامعة ليكون دليلنا، فكان متشوِّقاً ليطوف بنا ويرينا معالم المدينة. لقد حضر في الصباح الباكر، ومعه لائحة بالمواقع التاريخيّة، وخطوط القطار النفقي. ولقد خطَّط مواعيد وصول القطار إلى كل موقع، وكم سنقضي من الوقت، ومتى علينا الإنتقال إلى المحطة التالية.

أما أنا فقد اندمجت في زيارة المعالم بنوع من الإثارة جدير بشاب مثلي يشاهد مدينة كبرى. وكان دافيد شاباً رياضيَّاً في حالة ممتازة جعلتنا ننطلق في حركة دائمة، فهرولنا داخل الكاثدرائيّات، وأسرعنا عبر المتنزّهات، ووقفنا قليلاً أمام التماثيل، وألقينا نظرات خاطفة على الأبنية التي ترشح بالعظمة والتاريخ. رأينا لندن، ولكن هل رأيناها حقاً؟

ذهبت بعد ذلك ببضع سنين إلى لندن ومعي زوجتي في مهمّة مماثلة. وأمضينا اليوم الأخير مع بعض الأشخاص في رؤية المعالم. سرنا هذه المرة متمهّلين، فشاهدنا على راحتنا متأملين جمال تلك الكاثدرائيات وجلالها، وهي نفسها التي هرولنا حولها قبل ذلك بسنوات. لقد كان لديّ هذه المرة الوقت الكافي للتأمل والإعجاب بما رأيت، وتقدير المعاني السامية الكامنة في الأعماق.

إن هذا بالذات ما يشعر به الإنسان وهو يتأمل كلمة الله. فإذا أسرعنا في قراءة السطور في الكتاب المقدس، أو حضرنا درساً مستعجلاً لمقاطع من الإنجيل في إحدى مدارس الأحد، أو كنا في اجتماع كنسيّ للعبادة وواصلنا التطلُّع إلى ساعتنا، متشوِّقين لبلوغ الخدمة نهايتها كي نمضي إلى شأن آخر، فإننا لن نحصل على شيء ذي قيمة لحياتنا الروحية، ونكون كمن يهرول داخل الكاثدرائية فيلقي نظرة سريعة ولكنه لا يراها حقاً. أما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذا فتحنا الكلمة وأخذنا الوقت الكافي كي يؤثر روح الله في حياتنا، واستوعبنا ما فيها فإننا نرى جمال الكلمة وعظمتها ونكون في شركة حقيقية مع الله.

إن الله يرغب في الإتصال بنا من خلال كلمته. فلو خصَّصنا وقتاً كافياً للتأمل، فسوف نختبر عمق الرسالة وعظمتها، وبذا يكلِّمنا روح الله ويؤثر في حياتنا، وهنا نقطة هامة جداً: إن الذي يؤثر فينا هو الله نفسه، أما الكلمات المطبوعة التي نقرأها فليست إلا وسيلة، إنها الأداة التي يستخدمها الله ليتَّصل بنا: "لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك" (مزمور ١١٩: ٢٥). لاحظ أن الله نفسه هو الذي يقدر أن ينفح الحياة في المرنِّم صاحب هذا المزمور. إنه يستخدم كلمته كأداة للقيام بالعمل.

إننا في حاجة لأن ننمِّي في حياتنا حبَّاً لكلمة الله. "كم أحببت شريعتك، اليوم كلَّه هي لهجي" (مزمور ١١٩: ٩٧). لقد كان الحب لكلمة الله هو الذي حثَّ المرنم على التأمل في الكلمة. وهذه هي نقطة البداية كي تطلب من الله فيعطيك حبَّاً وبهجة في كلمته. "درِّبني في سبيل وصاياك لأني به سررت" (مزمور ١١٩: ٣٥) "هلّلويا، طوبى للرجل المتَّقي الرب المسرور جداً بوصاياه" (مزمور ١١٢: ١) "وأتلذَّذ بوصاياك التي أحببت" (مزمور ١١٩: ٤٧). فالقائد الذي يستحق أن يكون قائداً ومرشداً روحياً للآخرين يجب أن يكون رجل الكلمة.

الصلاة: إن العنصر الذي تتألف منه الشركة مع الله هو الصلاة. إذ أن الله يتكلم معنا من خلال كلمته، ونحن نتكلم معه من خلال الصلاة، على أن نتذكر أن هناك صلوات تحِّك يد الله، وأن هناك صلوات لا تأثير لها إطلاقاً. فما هو الفارق؟

لقد قدَّم يسوع مثلاً على أنواع الصلاة المختلفة فقال: "إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصلّيا، واحد فرّيسيّ والآخر عشّار. أما الفرّيسيّ فوقف يصلي في نفسه هكذا: "اللهم إني أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشّار. أصوم مرتين في الأسبوع، وأعشّر كل ما أقتنيه". وأما العشّار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: "اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ". أقول لكم أن هذا نزل إلى بيته مبرِّراً دون ذاك، لأن "كل من يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع" (لوقا ١٨: ١٠- ١٤).

أتيحت لي الفرصة في أحد أيام الصيف لحضور حفلة موسيقية على نهر باتوماك في واشنطن. وكانت الفرقة الموسيقيّة تؤدي الافتتاحية المسماة "١٨١٢". في أحد المقاطع أطلقت طلقة مدفع. وطبعاً لم تكن طلقة المدفع لإصابة هدف بل فقط لإيجاد تأثير صوتيّ، الأمر الذي يضفي على الموسيقى إثارة عنيفة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى نقيض هذا تذكرت أياماً قضيتها في البحرية خلال الحرب العالمية الثانية، وكنت أعمل كمراقب في المدفعيّة. كانوا يطلقون طلقة من أحد المدافع حيث أراقب موقع سقوطها بالنسبة للهدف، وعندئذ كنت أبرق رسالة أحدّد بها الإتجاه المطلوب: أهو أبعد أم أقرب، أو بالإنحراف يميناً أو يساراً. ثم بعد كل طلقة كنت أعطي تعليمات إضافية حتى نصل أخيراً إلى النتيجة، فأبرق بعدها "أطلقوا للتدمير". كانت المدفعية هنا تصب نيرانها كلها على الهدف لتجعله أثراً بعد عين.

وهكذا كان المثل الذي قدّمه يسوع عن الصلاة، فإن الفريّسيّ كان يصلّي للمظهر الخارجي. وقال يسوع عنه أنه كان يصلّي وكأنه كان يخاطب نفسه. أما العشار فكان يتكلم من الأعماق في صلاته. لم يهمَّه الظاهر بل كان منشغلاً بالداخل كان يتمِّم عملاً جدِّياً. هذه هي الصلاة المثلى التي ينبغي تقديمها إلى الله. "طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها" (يعقوب ٥: ١٦). لأن الصلاة يجب أن تكون حارّة لتصبح فعّالة.

وقد توّضح ذلك بحدث في الكنيسة الأولى (انظر أعمال ١٢: ١- ١٢). بدأ هيرودس الثالث حكمه بالإرهاب اضطهاد المسيحيين، فقتل يعقوب أخا يوحنا، وكان على وشك أن يقتل بطرس أيضاً. كان بطرس في السجن، تحت حراسة ستة عشر جندياً. ولكن المسيحيين صلّوا في تلك الليلة من أجله. استجاب الله للصلاة إذ أرسل ملاكاً ففتح باب السجن وأطلق بطرس.

هناك ترجمات عديدة استعملت كلمات مختلفة لوصف الصلوات التي قُدِّمت، جدِّية، متحمسة، حارّة. إن الكلمة المستعملة لوصف حرارة الصلاة، هي الكلمة المستعملة لوصف شدّة الشعور الذي يشعر به الإنسان عندما تتمزَّق أطرافه على أداة التعذيب.

إن السبب لهذه الصلاة الحارّة واضح. أولاً كان هرب بطرس من السجن مستحيلاً من الوجهة الماديّة. والشيء الأساسي الذي حثّ على تلك الصلاة المتحمّسة كان ماضي بطرس. فقد عُرف عنه أنه أنكر المسيح في ساعة الخطر. فهل سينكره الآن؟ هل سمع الله لصلواتهم؟ نعم بوفرة. ففي الليلة السابقة لموعد تنفيذ حكم الإعدام كان بطرس نائماً في السجن كطفل وهو مقيّد بالسلاسل بين جنديّين. إن الصلاة الحارّة الفعّالة التي قدّمها جماعة من المسيحيين من أجل بطرس في تلك الليلة كانت ذات قيمة. فقد نجا بطرس من الموت، بل كان خروجه من السجن، على الرغم من الحراسة المشدّدة، حادثاً معجزياً عجيباً.

ذهبت لزيارة أحد الأطباء قبل عدة سنوات فوجدته يفحص مريضاً. وبعد أن انتهى وانصرف المريض قال لي: "هذا الرجل مصابٌ بقلبه". ولقد سألت نفسي: كيف عرف ذلك؟ لقد كان الرجل يقول أنه في أحسن حال، وأنه لا يحسّ بأي ألم أو تعب، لكن على الرغم من كل ما قاله المريض فقد عرف الطبيب أن ذلك الرجل مصابٌ بقلبه. كيف؟ إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأمر بسيط للغاية. كان الطبيب يسمع قلب الرجل بالسمّاعة الطبيّة، ولم يهتم بما كان يدّعيه من كمال الصحة.

هذه هي حالنا مع الله. فإننا عندما نصلّي لا تنطلق صلاتنا إلى الله عبر تموُّجات هوائية أو لاسلكية فيسمعها بالأساليب التي يسمع بها البشر بعضهم بعضاً. إن الله يهتم بل يعرف ما تختلج به قلوب المصلّين. "يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً" (متى ١٥: ٨). ودعوة أرميا في مراثيه" اسكبي كمياه قلبك قبالة وجه السيد" (مراثي ٢: ١٩). إن الصلاة التي من القلب يستمع إليها الله.

هل سمعت بعض المسيحيين يقولون بعضهم لبعض عند الافتراق "سأصلّي من أجلك"؟ هذا عظيم لو كانوا يصلّون فعلاً. ولكن أكثر هذه العبارات ليس إلا نوعاً من المجاملة اللطيفة كالقول "إلى اللقاء". كم يختلف هذا عما قاله بولس الرسول "فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم في صلواتي" (روميه ١: ٩).

لكي تكون الصلاة حارّة، يجب أن تكون محدّدة، فغالباً ما نقع في التقليد اللفظيّ فنصلّي طالبين أن يبارك الله الكنيسة أو أن يقوّي الواعظ أو أن يبارك أفراد الصف. يجب أن تكون صلاة القائد محدّدة من ناحيتين، أولاً- يجب أن تكون صلاة القائد مركّزة على نموّ كل من الأفراد الذين يرشدهم وعلى تقدّمهم. لقد أعطانا بولس المثال على ذلك. "من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا، لم نزل مصلّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحيّ، لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله" (كولوسي ١: ٩- ١٠). تأملوا كذلك صلاة أبفراس "يسلم عليكم أبفراس، الذي هو منكم عبدٌ للمسيح، مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات لكي تثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله" (كولوسي ٤: ١٢).

ثانياً- يجب أن يصلي القائد من أجل النضج الروحي لأتباعه حتى يقيم الله من بينهم عُمَّالاً ليذهبوا إلى حقول العالم.

إن يسوع نفسه علّمنا أن نفعل ذلك. "ولما رأى الجموع تحنَّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه: "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون، فاطلبوا من ربّ الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده" (متّى ٩: ٣٦- ٣٨).

الطاعة: والعنصر الأخير في الشركة هو الطاعة، فلا شركة مع رئيس دون طاعته. ويسوع المسيح رئيسنا إلى حدٍّ بعيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قبل أن أسلِّم حياتي للمسيح قضيت فترة في جزيرة بافوفو مع الفرقة الأولى للبحرية، خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت تلك الجزيرة منتجعنا، فكنا بعد كل حملة عسكرية نرجع إليها لنستريح فيها، ويا لها من منتجع. كانت تلك الجزيرة ملأى بالحشرات من ذباب ونمل أحمر وبعوض، وكانت خيامنا ترشح ماءً من كثرة الرطوبة، وكثيراً ما كنا نجد في الصباح سرطان الأرض في أحذيتنا. كانت الحرارة دائماً مرتفعة خانقة، والمطر اليومي مصدر إزعاج دائم. ولم يكن لدينا ما نأكله سوى جراية الميدان. ولكي تجعل الحياة مقبولة نوعاً ما، جادت البحرية بعلبة بيرة لكل جندي مرة في الشهر، لإدخال البهجة إلى قلوب الجنود. طبعاً رحَّبنا بتلك المعاملة الكريمة، مع أن علبة البيرة في الشهر لا تعتبر ذات قيمة لمن تعوَّدوا شرب البيرة باستمرار. وعليه فقد وضعت خطة بالإتفاق مع بعض زملائي الذين لا يشربون البيرة إطلاقاً، على أن يبيعوني حصتهم. وكان ذلك بالطبع ضد الأنظمة. ولكن كان من المتعارف عليه في كتيبتنا أن وسام حسن السلوك يعطى للمجنَّد إذا لم يُقبض عليه مُتلبِّساً بأية مخالفة للأنظمة.

كنت في كل مرة أجمع عدداً من علب البيرة الساخنة، فأختلي بها في خيمتي لأفتحها وأشرب محتوياتها. وفي يوم حارّ دخلت خيمتي ومعي أكثر من عشر علب بيرة. أخذت أفتحها واحدة واحدة بطعنها بحربة صدئة كانت معي. شربت محتويات عدة علب، وبدأت أشعر بتأثيرها في أعصابي. ثم طعنت علبة أخرى لأفتحها. وبعد عدة طعنات انفتحت أخيراً، وتدفقت منها البيرة الساخنة باتجاه باب الخيمة. وإذا بقائد مجموعتنا يدخل الخيمة في تلك اللحظة فيقع رشاش البيرة على وجهه وملابسه. وليس ذلك فقط، بل وجدني ثملاً وحولي كل تلك العلب التي لا يحق لي أن أشربها.

كان ذلك الرئيس صديقي. لكني خالفت الأنظمة. ولم أستطع استرجاع صداقتي وشركتي معه إلاّ بعد عدة أسابيع.

ليس هناك شركة مع رئيس عن غير طريق الطاعة، فقد قال يسوع "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبُّني، والذي يحبّني يحبّه أبي وأنا أحبّه وأظهر له ذاتي" (يوحنا ١٤: ٢١).

إن خطر العصيان قد بيَّنه الله بوضوح في قوله "ولماذا تدعونني يا رب يا رب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله. كل من يأتي إليّ ويسمع كلامي ويعمل به أريكم من يشبه. يشبه إنساناً بنى بيتاً وحفر وعمَّق ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعزعه، لأنه كان مؤسساً على الصخر. وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه إنساناً بنى بيته على الأرض من دون أساس، فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً" (لوقا ٦: ٤٦- ٤٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن حياة القائد مع الطاعة هي الحافز الأقوى المؤثّر على أتباعه. فهم يرون حياته فيغمرهم التّحدّي الكبير لإبراز انتمائهم وطاعتهم.

إن العناصر الثلاثة للشركة هي الكلمة والصلاة والطاعة، وهي للقائد واجب إلزامي مطلق، إنه بحاجة لإختبار قوة الله في حياته وخدمته على أساس يوميّ. فالشركة مع الله هي الموصِّل الذي يجعل تلك القوة فاعلة، وبدونها يصبح القائد مجرد منظّم للجهود البشرية. إلاّ أنه يصبح بها أداة بين يديّ الله يستعملها لإتمام مقاصده على هذه الأرض.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

الفصل الثالث

حياة القائد الداخلية

كان البابليّون شعباً فظّاً قاسياً. وكان دستورهم في الأخلاق والعدالة شاذّاً وغريباًً، حتى أنهم نظروا إلى قتل الإنسان كأنه لا يختلف عن قتل ذبابة. وهكذا عندما احتلّ جيشهم أورشليم قديماً وسبوا من أهلها عدداً من الشبّان، وجد أولئك الشبّان أنفسهم وسط مجتمع تتناقض مبادئُه مع كل ما تعلّموه منذ نشأتهم. لقد كانوا واقعين وسط جوّ عدائي لا يقاوَم. ومع ذلك فقد ارتقى أحدهم إلى مركز القوّة والسلطة في إمبراطورية كانت غارقة في العنف والخرافات وعبادة الأوثان، وخلال سنوات العبودية، دعي هذا الرجل من قبل الملوك الوثنيين إلى أعلى المناصب، في تلك البلاد. وكان أهم ما يُلاحظ في هذا الرجل هو مبادئه القويمة، وتمسّكه بعبادة الله الحق. لا شك في أننا سنتعلم كثيراً من الإطلاع على الحياة الداخلية لهذا القائد المرموق.

كان دانيال شاباً عندما اختاره الملك نبوخذنصّر لمهمة خاصة. لقد كان أحد أفراد مجموعة، وتقرَّر أن "يعلِّموهم كتابة الكلدانيين ولسانهم" (دانيال ١: ٤). وقد كان يشكل مع ثلاثة من رفاقه، نخبة من الشبان ذوي المؤهّلات الخاصة، "فتياناً لا عيب فيهم، حسان المنظر، حاذقين في كل حكمة، وعارفين معرفة وذوي فهم بالعلم، والذين فيهم قوة على الوقوف في قصر الملك" (دانيال ١: ٤). وهذا يعني بلغة هذا العصر أنهم كانوا لائقين بدنيّاً وإجتماعيّاً، أذكياء حاذقي التفكير، مثقَّفين ومؤهَّلين ديبلوماسيّاً.

ويمكن القول أن أي عميد في أية جامعة، بعد أن يطّلع على هذه المؤهّلات، سوف يرحِّب بهؤلاء الشبان بين طلاّبه. أما المؤسسات فسوف تسعى جاهدة لتضم أمثالهم إلى موظّفيها. ولكن هناك نقطة تثير الإهتمام. لقد رفع الله واحداً منهم فقط إلى أحد أعلى مناصب الإرشاد الروحيّ. لماذا؟ لوجود بعض الصفات الأساسية في الحياة الداخلية لهذا الرجل. دعونا إذن نبحث ثلاثا ًمن أهم هذه الصفات.

نقاوة الحياة: من أولى الصفات المميّزة للشاب دانيال كانت نقاوة حياته. "أما دانيال فجعل في قلبه أنه لا يتنجَّس" (دانيال ١: ٨). من المهم ملاحظة أن أول ما عمله الله في فجر الخليقة هو أنه فصل بين النور والظلمة. يرمز هذا العمل إلى حقيقة روحية عظمى. فأنت إما أن تكون في هذه الناحية أو في الأخرى. ليس بالإمكان القفز فوق السياج.

ففي الجحيم لا يوجد نور، وفي السماء لا يوجد ظلام. ونحن الذين أعطينا حياتنا للمسيح، وجرَّبنا حبّه وغفرانه، سوف نجتمع به أخيراً في السماء. ولسوف ندخل مساكنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وننعم بحضوره. واستعداداً لذلك اليوم العظيم نحتاج أن نتعوَّد السير في النور ونحن لا نزال على الأرض.

إن بولس الرسول يكمّل هذا الموضوع بقوله: "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبرّ والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي إتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن، وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحي" (٢ كورنثوس ٦: ١٤- ١٦).

لقد استعمل بولس الأسئلة الخمسة المقتبسة أعلاه، ليرسم خطّاً فاصلاً بين الله والمعارضة. ففي ناحية يجمع الصلاح والنور والمسيح والإيمان وبيت الله. أما في الناحية الأخرى، فهناك الضلال والظلام والشيطان والكفر والعبادة المزوّرة. وهو حين يبيّن بأنه لا يمكن الخلط بين الناحيتين فهو يدعوك لتختار أن تحيا في هذه الناحية أو في الأخرى. إن هذه حقيقة واضحة، ومع ذلك فهناك كثيرون يحاولون إيجاد تسوية مع الخطيئة. فالقائد ملزم بأن يقدّم القدوة في تصرفاته التي تتفق مع الكتاب "فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم". (١ تيموثاوس ٣: ٢).

يهتم الله كثيراً بحياة القائد الداخلية. عندما نبذ الله الملك شاول واختار بديله قال لصموئيل "لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأني قد رفضته.... لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب" (١ صموئيل ١٦: ٧). فأنت وأنا نميل إلى تقدير الناس بالمعيار الخارجي فقط، وهو ما نراه. أما الله فينظر إلى الداخل.

منذ أشهر اجتاحت مدينتنا عاصفة رملية وقد اقتلعت زجاج النوافذ في مخازن المدينة ومصارفها. وكان هيرب لوكبار الرجل الذي يقوم بالتدريس في صف مدرسة الأحد، مع زوجته آرديس عائدين بالسيارة إلى منزلهما، عندما رأت آرديس منظراً هالها. رأت إحدى أجمل أشجار المدينة وقد اقتلعتها العاصفة من جذورها. لفتت نظر زوجها إلى أن تلك الشجرة الجميلة كان السوس قد نخرها من الداخل.

لقد انكشف سرٌّ كان مدفوناً. فإن الشجرة التي كانت مثار الإعجاب لعظمتها وجمالها، كانت مهترئة من الداخل. لذلك عندما جاء اليوم الذي واجهت فيه العاصفة الشديدة، لم تستطع الصمود أمامها فسقطت، والناس الذين كانوا يعجبون بفروعها الباسقة وأوراقها الجميلة عرفوا الحقيقة. كان منظرها الخارجي جميلاً، أما داخلها فكان مهترئاً فاسداً.

 All rights reserved © 2008-2018

وهذا هو الواقع في حياة البعض منا. إذا حاول القائد المسيحي الإهتمام بالمظهر الخارجي دون تحصين الداخل بالنقاوة والقداسة أمام الله، فإن وضعه يكون ضعيفاً. والإمتحان لابد سيكشف حقيقة طبيعته وأخلاقه. لذا يجب أن يحيا القائد حياة نقية.

كتب بولس الرسول إلى تيموثاوس، عن سبب آخر لنقاوة الأخلاق. "وليتجنّب الإثم كل من يُسمّي اسم المسيح. ولكن في كل بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف أيضاً، وتلك للكرامة وهذه للهوان. فإن طهّر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٢: ١٩- ٢١).

تظهر هذه الفقرة حقيقة واضحة في بيتنا. فهناك أوانٍ مختلفة لإستعمالات مختلفة. لدينا في البيت إناء للنفايات وآنية أخرى للطعام. وزوجتي لا تخلط بينها ولا تغيّر استعمالها. فالحقيقة الروحية البسيطة هي أن بإمكان الإنسان أن يختار أي إناء يريد أن يكون بين آنية بيت الله. وعليه أن يقرّر هل يكون إناءً للكرامة أم إناءً للهوان. فإن المقياس الذي بموجبه يقرّر الله من يستخدم لأي من مقاصده الأبدية على الأرض، هذا المقياس مبيّن في آخر الفقرة، أي في الآية ٢١. إن الذين يطهّرون أنفسهم من الصفات المعيبة هم الذين سيكونون آنية للكرامة.

أهدانا السيد آرت عمّ زوجتي قبل عدّة سنوات مجموعة من أكواب البلّور الفاخر احتلّت مكان الصدارة بين الأواني المنزلية في بيتنا، ولم نستعملها إلاّ في المناسبات الخاصّة. فلو فرضنا أنك جئت إلينا يوماً لتزورنا وكنت عطشان. فأدخلتك إلى المطبخ ودعوتك لتشرب بنفسك كوباً من الماء البارد من الحنفية. فإنك بلا شك ستفتح الخزانة لتأخذ كوباً من تلك المجموعة البلّورية، لكنك إذ تجد أن تلك الأكواب يعلوها الغبار من قلّة الإستعمال، فإنك ستفضّل عليها أي وعاء آخر نظيف وإن لم يكن بلّورياً.

أما لماذا تفعل ذلك، فالسبب واضح بسيط، إذ أن المطلوب هو وعاء نظيف. الله أيضاً يريد حياة نظيفة نقيّة ليستخدمها. إنه يريد "إناء للكرامة مقدَّساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح".

لاحظ كلمة "مقدّس". إن لهذه الكلمة معاني متعدِّدة، لكن من أبرز معانيها هو التخصيص أو التكريس. فالشيء المقدّس هو الموضوع على حدة، المخصّص لشخص أو لغرض معيّن. دعني أوضّح فكرتي. كان لي صديق برتبة ضابط وذو منزلة عالية في سلاح البحرية. وكان قد أُعطي بحكم وظيفته سيارة جيب لإستعماله الخاص، فكانت تلك السيارة دائماً على أهبة الإستعداد، ويعرف أين يجدها عندما يحتاج إليها. والويل لأي ملازم شاب يستعمل تلك السيارة لأغراضه الخاصّة، إذ كانت تلك السيارة مقدّسة وفي خدمة ذلك الضابط ولا يستعملها أحد سواه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن القائد الذي يحيا حياة مقدّسة أو مكرّسة للرب. يكون له تأثير على العالم حوله. لقد وعد الله بأن يظهر نفسه للآخرين من خلال القادة.

"فأقدّس اسمي العظيم المنجّس في الأمم، الذي نجّستموه في وسطهم، فتعلم الأمم أني أنا الرب، يقول السيد الرب حين أتقدّس فيك قدّام أعينهم (حزقيال ٣٦: ٢٣).

كثيراً ما يوجّه أفراد الشبيبة أسئلة إلى القائد حول تفاصيل يتحدَّد بها ما هو الصواب وما هو الخطأ. فهم يريدون أن يهتدوا لحياة نقية ولكنهم غير واثقين من بعض النتائج. فالكتاب المقدس لا يتطرّق إلى بعض القضايا الفرعية، بل يركّز على المبادىء الأبدية. وهناك أربعة من هذه المبادىء أُستعملت في حياتي.

بعد أن صرت مؤمناً بالمسيح بقليل من الوقت تبيّن لديّ أن بعض العادات والتصرُّفات في حياتي يجب إبطالها. كنت أعرف أنها خاطئة ولا ترضي الله. وكانت هناك أشياء أخرى غير واضحة ولم أعرف بالضبط إن كانت خاطئة أم لا. إن الكتاب المقدس واضح في ما يتعلق بالتجديف والسرقة والكذب، ولكن هناك بعض الأشياء التفصيلية التي لا يعطي الكتاب المقدس كلمة واضحة عنها. بعد أن بدأت أتساءل عن ذلك بوقت قصير، أعطاني الله ثلاث آيات من الكتاب المقدس، كانت لي عوناً عظيماً خلال السنوات التالية. لقد كانت تلك الآيات تحتوي على "كيف تعرف الصواب من الخطأ". إني أدعو هذه المبادىء ٦- ٨- ١٠ لأنها موجودة في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس والإصحاحات ٦ و٨ و١٠. ولكي أعرف إن كان أمر ما صواباً أم خطأ أسأل نفسي الأسئلة التالية:

١- هل الأمر يساعدني؟ كل الأشياء تحلّ لي، لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحلّلي لكن لا يتسلّط عليّ شيء (كورنثوس ٦: ١٢) على أساس هذه الآية يمكن أن أسأل نفسي: هل هذا الأمر يساعدني؟ هل إذا فعلته ينفعني أم يضرُّ بي؟ هل هذا العمل سيساعد فكري وصحتي، أم على العكس سيدفع بي نحو الخطيئة؟ لقد استطعت، بناء على أسئلة كهذه، أن أقرّر ما هو الصواب في ما يختصُ بالسينما، والتلفزيون، وقراءة بعض الكتب والمجلات. صرت أسأل: هل هذه ستساعدني إن شاهدتها أو اقتنيتها؟ هل ستساعدني على النمو روحياً أم ستعيقني وتؤخّرني.

٢- هل الأمر سيتسلّط عليّ؟ لقد تبيّن لي ممّا جاء في ١ كورنثوس ٦: ١٢ أن كل ما يمكن أن يستعبدني هو ضار وعليّ أن أتجنّبه. كيف أرضى أن أوقع نفسي في عادة يصعب عليّ أن أتركها فيما بعد؟ لي أصدقاء هم اليوم عبيد للتدخين أو المسكر أو المخدّر، وقد قال بولس الرسول "لا يتسلّط علي شيء".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- هل الأمر يجعلني عثرة للآخرين؟ "وهكذا إذ تخطئون إلى الأخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف، تخطئون إلى المسيح. لذلك إن كان طعام يُعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أُعثر أخي" (١ كورنثوس ٨: ١٢- ١٣).

هل عملي هذا يُعثر الآخرين؟ ربما كان بإمكاني التغلّب عليه. ولكن هل يؤثر على الذين يرونني أعمله؟ هل يُسبّب لهم مشاكل؟ هل يكون عملي سبباً لإزعاجهم؟ لا يعيش الإنسان في عزلة تامّة. فالناس يرونه وقد يتمثلون به. إن على المسيحي الحقيقي أن يكون قدوة. إن عليه عند كل قول أو عمل أن يفكّر بالآخرين وما وقع أقواله وتصرّفاته عليهم.

٤- هل الأمر يمجّد الله؟ "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كورنثوس ١٠: ٣١). هل عملي هذا بالنتيجة يمجّد الله؟ لاحظ أن السؤال الأول في تعليم وستمنستر الكنسي القصير يقول "ما هو الهدف النهائي للإنسان؟". والجواب هو أن الهدف النهائي للإنسان هو تمجيد الله والتنعّم به للأبد.فأنت وأنا نحيا حياتنا لنسبّح مجد الله. وعليه يجب أن أسأل نفسي: هل أستطيع عمل هذا الأمر لمجد الله؟.

هذه المقاطع الثلاثة في الكتاب المقدس واجهت محك الزمن. فهي تحتوي على المبادىء الثابتة من الله الكلي المعرفة والكلي المحبّة.

إذن فالسؤال الذي يطرحه الله هو: ماذا في الداخل؟ فالمظاهر الخارجية تعكس الحياة الداخلية. على القائد أن يحتفظ بإتجاه إلهي أمام رفاقه وأن يطبق باستمرار الآية في ١ يوحنا ١: ٩ والقائلة: "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم".

التواضع: هناك ميّزة هامة في اعتبار الحياة الداخلية للقائد وهي التواضع في مواجهة الموقف حيث يكتفي معظمنا بالبقاء حياً. ارتفع دانيال إلى مركز القوة والنفوذ، وتحت إرشاداته ازدهرت المملكة. وكان بمقدوره إسداء النصح والإرشاد للملك، وخلال كل ذلك بقي خادماً متواضعاً لله. وغالباً عندما كان بإمكانه أن يرفع نفسه، كان يكتفي بإعطاء كل الفضل للرب. فقد أجاب دانيال بحضور الملك: "السرُّ الذي طلبه الملك، لا تقدر الحكماء، ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجّمون على أن يثبتوه للملك. لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار، وقد عرّف الملك نبوخذنصّر ما يكون في الأيام الأخيرة. حكمك ورؤيا رأسك على فراشك هو هذا. أنت يا أيها الملك، أفكارك على فراشك صعدت إلى ما يكون من بعد هذا، وكاشف الأسرار يعرّفك بما يكون. أما أنا فلم يُكشف لي هذا السر لحكمة فيَّ أكثر من كل الأحياء. ولكن لكي يُعرَّف الملك بالتعبير ولكي تعلم أفكار قلبك" (دانيال ٢: ٢٧- ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الروح المتواضعة هي سمة يتميّز بها الرجل الذي يستخدمه الله. إن الله يطلب هذا من خادمه "أنا الرب هذا إسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات" (أشعيا ٤٢: ٨) وعندما ينحرف رجاله عن جادة التواضع ويبدأون بالتفاخر وتعظيم أنفسه يجد الله طريقه لإعادتهم إلى الطريق القويم.

زرت في صيف إحدى السنين حقلاً ارسالياً في الخارج، وهناك ذكر لي أحد المرسلين هذه القصة المدهشة:

قال، أنه عندما سافر ليلتحق بالعمل الإرسالي، اعتقد انه عطيّة الله للعالم وللبلاد التي سافر إليها. كان موقفه ولسان حاله "انتظروا حتى أصلّي وأريكم ماذا سأفعل. سأصحِّح كل الأخطاء واجعل العمل ناجحاً ومنتجاً"، وعلى ذلك وصل وبدأ عمله.

إن الذي حدث هو أن موقف هذا المرسل من زملائه لم يحبِّبه كثيراً إلى قلوبهم. فقد رأوا روحه المتعجرف وابتعدوا عنه. والأسوأ من ذلك هو أن الله أيضاً لم يُسرَّ بأسلوبه ولم يُنجح جهوده. عمَّ الاضطراب حياته وأخفقت كل مخطَّطاته. يقول الكتاب: "كذلك أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ، وكونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعين فيعطيهم نعمة. فتواضعوا تحت يد الله القويّة لكي يرفعكم في حينه" (١ بطرس ٥: ٥- ٦) إن الله يقاوم المتكبّر ولا يباركه. من أنت لتجابه الله العظيم؟ وهكذا غمر الفشل والحزن حياة ذلك المرسل.

لكن للقضية نهاية سعيدة. صار المرسل يرى خطأ طريقته فندم على خطيئته. وبدأ يسير بتواضع مع الله فأصبحت حياته مباركة. "قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك" (ميخا ٦: ٨).

هناك فقرات كثيرة في الكتاب المقدس تعالج هذا الموضوع وهاك بعضاً منها:

أمثال ٦: ١٦- ١٧: "هذه الستّة يبغضها الرب وسبعة هي مكرهة نفسه: عيون متعالية، إنسان كاذب، أيدٍ سافكة دماً بريئاً" لاحظ العبارة الأولى في هذه القائمة.

أمثال ٨: ٣: "مخافة الرب بغض الشرّ. الكبرياء والتعظم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضت." لاحظ باهتمام الكلمة الأولى في هذه القائمة.

لماذا يقاوم الله بشدّة كل تكبّر وعجرفة؟ هل هي مجرد وصيّة أمر بها الله ولا نجد لها معنى؟ لا، بالطبع لا. كما في كل شيء في الكتاب المقدس، عندما يطلب منا العمل بوصاياه والعيش بحسب مقاييسه فهو لأن ذلك يؤول لخيرنا. إن الطريق إلى السعادة هي بأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نحوِّل النظر عن أنفسنا ونعمل لخير الآخرين. إن القائد الروحي لا ينجح إلاّ إذا سار في الحياة بهذا الروح. والكبرياء هي إحدى أدوات الشيطان التي يستخدمها لكي يجعل المؤمنين يركِّزون أنظارهم في أنفسهم بعيداً عن الآخرين.

عندما تحصر اهتمامك في نفسك، تفقد الشعور بحاجات الآخرين. عن هذا يجعل حياتك مصدر أذى لشعور الآخرين وسبب إهانة لهم واستغلال دون أن تدري.فلقد لاحظت ذلك في حياة أشخاص لهم مراكز قيادية وكان من المحزن مراقبة تقهقرهم الروحيّ.

فيلبي ٢: ٣- ٤: "لا شيء بتحزُّب أو بعجب بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً".

نجد مثلاً واضحاً على تأثير الكبرياء الهدّام في حياة عُزيّا، أحد ملوك يهوذا. "كان عزيّا ابن ست عشرة سنة حين ملك. وملك إثنين وخمسين سنة في أورشليم، واسم أمه يكليّا من أورشليم". (٢ أيام ٢٦: ٣). كان سلوك هذا الملك في البدء مستقيماً. "كان يطلب الله في أيام زكريا الفاهم بمناظر الله، وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله (الآية ٥) وأصبح ناجحاً ومشهوراً. وأعطى العمونيون عُزيّا هدايا، وامتد إسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدَّد جدّاً (الآية ٨). لقد جمع جيوشاً قوية وباركه الله.

ثم أتت بداية تقهقره. "ولما تشدّد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب إلهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور" (الآية ١٦). ماذا كانت مشكلته؟ لم يتمكن من السيطرة على نفسه في وقت النجاح. لقد سيطر عليه التكبّر. فضربه الله بالبرص.

على القائد أن يكون قادراً على تحديد أهدافه، ثم تعيين الطرق الواجب إتباعها للوصول لتلك الأهداف. إن التكبُّر هو ألدّ أعدائه في هذا الظرف. فعندما يمتلئ الإنسان من التكبّر، لا يعود قادراً على رؤية الطريق التي توصله للهدف، بل يرى فقط الطريق التي توصله إلى العظمة والهتاف. وعلى نحو ما فالتكبّر يعمي الإنسان فلا يعود يرى الطريق القويم، ويفقد عقله القدرة على التمييز. يرى فقط ما يريده التكبُّر، وهذا يقوده إلى العواقب الوخيمة.

وقد سقط الملك نبوخذنصّر بسبب التكبّر "فلما ارتفع قلبه وقست روحه تجبّراً، انحطَّ عن كرسي ملكه ونزعوا جلاله" (داود ٥: ٢٠).

ومن ناحية أخرى يصوّر أشعيا صفة الملك الذي يستخدمه الله. "هكذا قال الرب: السموات كرسيّي والأرض موطئ قدميّ. أين البيت الذي تبنون لي، وأين مكان راحتي. وكل هذه صنعتها يدي، فكانت كل هذه يقول الرب. وإلى هذا انظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (أشعيا ٦٦: ١- ٢) لقد سمعت بيلي غراهام يقول في مناسبات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عديدة أنه يعطي كل المجد لله بالنسبة لما يتم من خلال تبشيره. وهو يقرّ بتأكيد بأنه لو نسب المجد لنفسه لقضى على خدمته.

يعتبر روح التكبّر إذن النهاية الحتميّة للقائد. إنه يفسد فعّاليته في خدمة الله لأنه يسبب مرضين خطيرين في الروح. الأول هو الجهل.فالتكبّر يجعل الإنسان يعتقد في نفسه الإكتفاء الذاتي وعدم إمكانية التعلّم. إنه يعميه عن احتياجاته ويبعده عن قبول النصيحة الطيّبة واستشارة الآخرين.

نجد في أكثر أسفار الكتاب المقدس كيف يوجّه الله أنظارنا إلى القيمة العظيمة للمشورة "مقاصد بغير مشورة تبطل، وبكثرة المشيرين تقوم" (أمثال ١٥: ٢٢).

فالمشورة الروحية لابد أن تكون تلك الموجهّة لمرضاة الله. كثيرون هم الذين يطلبون نصيحة نزيهة غير متحيّزة. المشورة حتى لو أعطيت من شخص يحبك فعلاً، ومهتم لمصلحتك، يمكن أن تكون خاطئة.

إني أذكر كيف ناقشت ذلك مع كريستيان ويس، وهو مرسل ومدير لعمل إرسالي، فقال لي أنه هو نفسه ما كان ليلبّي دعوة الله له ويذهب للقيام بالعمل الإرسالي لو أنه أصغى لنصائح بعض الأصدقاء والأقارب. لقد اعتقد أولئك بأنه كان يخاطر بحياته ويقضي على مستقبله، مع العلم بأن أولئك الأصدقاء كانوا أوفياء ويريدون له الخير.

على القائد أن يضع هذه الأشياء نصب عينيه عندما يأخذ أو يعطي المشورة. إذ يجب عليه أن تكون له قابليّة التعلّم، دون أن يكون ساذجاً. بل يجب عليه أن يزن المشورة التي تعطى له بميزان الكتاب المقدس ولمصلحة ملكوت الله. يجب أن يُبقي قلبه مفتوحاً للآخرين، قابلاً للتعلم. "حيث لا تدبير يسقط الشعب، أما الخلاص فبكثرة المشيرين" (أمثال ١١: ١٤).

أما المرض الثاني الذي يسبّبه التكبُّر فهو عدم الأمان. فالقائد الذي ينظر إلى نفسه كثيراً يهتم كثيراً بمظهره أمام الآخرين. فهو يقيس نفسه باستمرار بمقياس تصرفات الآخرين. إن كلمة الله تبيّن أن هذا موقف غيبيّ سخيف وغير عاقل. "لأننا لا نجترىء أن نعدّ أنفسنا بين قوم من الذين يمدحون أنفسهم، ولا أن نقابل أنفسنا بهم، بل هم إذ يقيسون أنفسهم على أنفسهم ويقابلون أنفسهم بأنفسهم لا يفهمون" (٢ كورنثوس ١٠: ١٢).

من المفترض أن نستريح في المعرفة المباركة بأنه "قد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد". إلا أن القائد قد يكون قلقاً يهتم دائماً بتفكير الآخرين من جهته. إن هذا يجعله قليل التأثير في عمله، إذ لا تكون أنظاره دائماً على الهدف، ويصبح مساعدوه مصدر تهديد له بدلاً من المساعدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولابد من أن ينجم عن ذلك موقفان متطرِّفان. فهو إما أن يؤثر على الآخرين، بخطط طامحة ليريهم ما يستطيع أن يعمله، أو أن يتراجع إلى نقطة الجمود. إذ لو طرح للعمل برنامجاً ضخماً فإنه يكون على الأرجح مدفوعاً بدافع جسدي وينتهي بالنتيجة إلى الفشل.

أذكر مرة أني راقبت رجلاً عمل هذا، فكانت النتيجة كارثة. فقد كان ذلك أشبه بمصنع ضخم يتصاعد منه الغبار، وتدور الآلات بأقصى سرعتها والعمّال منهمكون في التحرك، بينما لم تكن أية نتيجة على صعيد الصناعة وتجميع الأجزاء. ذلك لأن قلق القائد دفع به إلى خلق جو نشاط مؤقت، بينما لم يكن أساس للعمل ولم يُحز على بركة الله.

أما الموقف المتطرّف الآخر فهو بالطبع الخوف من الفشل الذي يدعو إلى الجمود. فبدلاً من أن يقرّ المرء بضعفه ويخطو في الإيمان، يقف ولا يعمل شيئاً. إن بولس الرسول اكتشف ضعفه ولكنه اعتبره مصدر قوّة في عمله للمسيح إذا كان يسير في الإتجاه الصحيح. "من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني، فقال لي تكفيك نعمتي لأن قوّتي في الضعف تُكمَل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح" (٢ كورنثوس ١٢: ٨- ٩). إن روح التواضع في حياة القائد هو قوّة جبّارة في الله القدير.

كيف يمكن للقائد أن يحتفظ بروح التواضع أمام الله؟ إن هذا يتعلق بالطبع بأشياء كثيرة، ولكن أحدها يبرز أكثر من سواه. لكي يسير الإنسان بتواضع أمام الله يجب أن يحيا حياة تسبيح حقيقيّ. ففي السماء كائنات تحيط بالعرش قائلة "قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء" (رؤيا ٤: ٨) فلو عاش القائد بروح التسبيح، فسوف يُذكّره هذا بخطئه وضعفه. فبدل أن يجيء التذكير بالخطيئة عن طريق الإستبطان وفحص الإنسان لداخله يجيء نتيجة لقلب مملوء من التمجيد وتسبيح الرب على قوّته: وهذا بدوره يمكن أن يستعمله الله لدفع القائد في الإيمان واثقاً من الوعد "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيلبي ٤: ١٣).

الإيمان: أما الميزة الحيوية الثالثة في حياة القائد فهي الإيمان. جاء في الكتاب المقدس: "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه" (عبرانيين ١١: ٦). غالباً ما نسمع أن الله يطلب أن يكون في المؤمنين إيمان يشبه إيمان الأطفال، فما هو ذلك؟ وما هو محتواه؟ سوف نناقش أربع نواحٍ:

١- أولاً: الإيمان يعني أننا نؤمن أن الله سوف يُدبّر. "فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع" (فيلبي ٤: ١٩). كان تعييني لأول مرة كعامل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مسيحي في مدينة بتسبرغ. سافرت إلى هناك ولم أكن أملك غير ملابسي التي كنت ألبسها. وكانت احتياجاتي كثيرة، وكان علينا أنا وزوجتي أن نستعمل بيتنا للخدمة واستقبال الناس. كانت غرفة الجلوس خالية من الأثاث، ما عدا أريكة أمام الشباك، فقرَّرنا، بالإشتراك مع القسّ كنيث سميث، أن نصلّي طالبين من الله أن يدبِّر لنا طاولتين صغيرتين لتوضعا على طرفي الأريكة، وطاولة ثالثة لتحمل فناجين القهوة، وكرسيّ للزاوية.

وفي صباح اليوم التالي رنَّ جرس الهاتف وطلب أحدهم أن يتكلم مع القس سميث وقال: "يا قس سميث، لا أدري إذا كنت تتذكّرني، ولكنك أخبرتني في المدينة قبل يومين عن كيفية الحصول على الخلاص. لقد انتقل عملي إلى مدينة بفالو في ولاية نيويورك، حيث سأعمل في صقل الزجاج. لقد بعت عدة قطع من أثاث بيتي، إنما بقي لديّ بعض القطع التي لست بحاجة إليها. آمل ألا يكون لكم أي إحراج فيمكنني إعطاؤكم هذه القطع، وهي طاولتان صغيرتان وأخرى للقهوة وكرسيّ للزاوية".

أفلتت السماعة من يد سميث لشدة دهشته، فالتقطتُها وأجبت الرجل قائلاً "سنحضر إليك في الحال". واستأجرنا شاحنة صغيرة، ولم تغب الشمس حتى كانت تلك الطاولات والكرسيّ في غرفتنا.

وكنا نسكن في الناحية الشمالية من المدينة، ونجد صعوبة في الوصول إلى الجامعة الواقعة في الجزء الشرقي من المدينة. كنت أقضي ثماني ساعات يومياً في حرم الجامعة لأبشر الطلاب، وكنت فعلاً بحاجة ماسّة لسيارة. تعوَّدت الإجتماع مع راي جوزيف لنصلّي، وهو طالب في كليّة اللاهوت، وكان موعدنا الساعة الخامسة من صباح كل أربعاء. كنا نصلّي طالبين أن يساعدنا الله في خدمتنا له، وطلبنا أيضاً أن يدبِّر لي سيارة كي أستخدمها في ذهابي إلى الجامعة.

وفي يوم الأربعاء التالي رنَّ جرس الهاتف، وإذ بإحدى سيدات الكنيسة المشيخيّة على الخط، وهي المعلّمة لأحد صفوف الفتيان في مدرسة الأحد. قالت السيدة أن المدعو بيل نيوتن قد اشترى سيارة جديدة. وإذ لم يُعرض عليه كثمن لسيارته القديمة غير مبلغ زهيد، قرّر أن يهبها لشخص قد يكون بحاجة ماسّة لسيارة. وسألتني السيدة إذا كنت أقبل تلك السيارة كهديّة، فقلت: "مع الشكر، فقد كنت أصلّي من أجل ذلك". فأجابتني: "لقد استجاب الله صلاتك".

وهنا أضيف أن بيل نيوتن وأخاه أدي لم يكتفيا بإعطائنا السيارة بل إن طلاب الصف الآخرين جمعوا في ما بينهم تبرعاً لدفع مبلغ ١٢٥ دولاراً لإصلاح المحرك، وأعطونا فوق ذلك ٥٠ دولاراً للوقود.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد انتقالي من الساحل الغربي إلى بتسبرغ، تبين لي أن ملابسي من طراز لا يتماشى مع تلك المدرسة الشرقية المحافظة. فقد كان الطلاب يرتدون بذلات رمادية غامقة وربطات عنق مقلّمة بالأسود والرمادي، وأحذية وجوارب سوداء، وفي كل يوم اثنين نتناول طعام العشاء في أحد بيوت الأخوة، ونقرأ الإنجيل. في وسط هذا البحر من الألوان السوداء والرمادية كنت أبدو مستهجن الشكل ببذلتي ذات اللون الأخضر الفاتح، ورباط العنق الملوّن وحذائي الأصفر.

وعليه فقد بدأت بالصلاة من أجل ملابسي وفي غضون أسبوع دبّر لي الله بذلة غامقة ملائمة تماماً. وفي الأسبوع التالي كنت مع زوجتي نساعد سيدة مسنّة في عمل روتيني في منزلها. وعندما انتهينا وقمنا لننصرف دسَّت تلك السيدة تحت إبطي كيساً من الورق، وعند وصولي إلى المنزل، وجدت في هذا الكيس حذاء أسود ملائماً تماماً.

كنت بحاجة أيضاً إلى ساعة، لأن ساعتي كسرها بعض الأولاد في مدرسة الكتاب المقدس الصيفيّة. وبما أنه لم تكن لديّ ساعة فكنت كثيراً ما أتأخر عن مواعيدي، وكنت أعلم أن هذا لا يجوز، فصلّيت طالباً أن يدبِّر الله هذا الأمر.

ودُعيت يوماً لأتكلم لصف يجتمع لدرس الكتاب المقدس مساء كل سبت، وكان هذا الصف قد شكّله في أثناء خدمته الدكتور دونالد ج. بارنهاوس. بعد ذلك وفي مساء الأربعاء التالي جاء إلى بيتنا أحد أفراد ذلك الصف وكان يحمل إلينا هديّة شكر. كانت الهديّة في علبة من الورق المقوى في حجم "دليل هاي للكتاب المقدس" فسررت ظاناً أن الهديّة هي هذا الكتاب القيِّم. وعندما فتحت العلبة وجدت أن الهدية ساعة أوميغا أوتوماتيكية، وهي هذه الساعة التي لا تزال معي إلى اليوم. لقد أظهر الله لي آنذاك، أنا القائد المسيحي الشاب، وبيّن ذلك مراراً أنه مستعدّ وراغب وقادر على تدبير احتياجاتي.

٢- وثانياً: الإيمان يعني أن نؤمن أن كل ما نفعله من أجل الله سوف ينجح. "فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح" (مزمور ١: ٣).

لنا قطعة أرض يجري في وسطها جدول، وهذا الجدول تحيط به الأعشاب والأشجار والأزهار البرية. ولزوجتي هناك بستان أيضاً هو موضع فخرها وفرحها. وقد غرست فيه نباتات وأزهاراً، وتواصل العناية بها فتسقيها وتضع لها أسمدة لتقويتها. لكن زوجتي لا تبذل جهداً في العناية بالأشجار والأزهار البرية. إن الذي يهمّها تلك النباتات والأزهار التي زرعتها بيدها. والكتاب المقدس يعلمنا بأننا لسنا نباتات بريّة تنمو هنا وهناك، بل نحن كرمٌ غرس أشجاره أبونا السماوي، وأننا دائماً تحت رعايته وحمايته، تحيط بنا أنهار محبّته ورحمته ونعمته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يؤكد صاحب المزامير هذه الحقيقة مرة أخرى إذ يقول "لا يدع رجلك تزلّ، لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام... .... الرب حافظك، الرب ظلّ لك عن يدك اليمنى" (مزمور ١٢١: ٣- ٥).

لقد قرأت مؤخراً عن حدث في حياة قباطنة البحر الذي عمل في زمن المراكب الشراعية. فقد كان يقطع بسفينته المحيط من ليفربول في غرب انكلترا إلى نيويورك، عندما هبّت عاصفة شديدة، وكانت الأمواج والرياح تعصف بقوة والسفينة تتمايل بعنف وشدّة.

وأصاب المسافرين رعب شديد، فارتدوا أطواق النجاة واستعدوا لأسوأ الإحتمالات. وكان للقبطان إبنة في الثامنة من عمرها ترافقه في تلك السفرة، وقد أفاقت من نومها على الضجّة، وصرخت بذعر سائلة ما الخبر؟ فأجابوها بأن العاصفة جعلت السفينة في حالة الخطر الشديد. فسألت: أين أبي؟ هل هو الذي يتولّى القيادة؟ فأجابوها: نعم. فابتسمت وألقت برأسها على الوسادة واستغرقت في النوم بعد دقائق. هذا هو إيمان الأطفال الذي يرضي الله. إن وعده يؤكد لنا أنه يحفظ أرواحنا وأنه لا ينعس ولا ينام.

٣- ويعني الإيمان ثالثاً أن نؤمن أن الله أهل لثقتنا المطلقة. رأيت هذا ممثلاً مرة في إبني الأصغر. لقد كبر فطلب مني أن أشتري له دراجة أكبر من دراجته الصغيرة. فذهبنا إلى محل بيع الدراجات، وألقينا نظرة على محتوياته. لم يتذمر الطفل ولم ينتحب عندما ناقشنا إمكانية شراء أو عدم شراء الدراجة. لقد ظلّ هادئاً وكأنه يقول: "إن ما تراه هو الأفضل يا أبي".

"بارٌّ أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهاداتك وحقاً إلى الغاية" (مزمور ١١٩: ١٣٧- ١٣٨). لم يعمل الله قط أي شيء خطأ. فإن ما يطلب منا أن نؤمن به ونعمله هو بالتأكيد حقّ. إن كلمته هي أهل للثقة التامّة، فما يقرِّره وكيفما يرشد وكل ما يقوله هو حق. إن وعوده ثابتة وإرادته حسنة مقبولة وكاملة.

بالإضافة إلى الإعتماد على وعود الله وحمايته وصدقه يمكننا تمييز شعاع آخر صادر من مزايا الله ويرتبط بالإيمان. إنه قوة الله. في هذا الصيف كنت أتأمل في قصّة الأب والطفل كما وردت في إنجيل مرقس الإصحاح ٩. كان يسوع مع ثلاثة من تلاميذه عائدين من جبل التجلّي فوجدوا مشهداً مروّعاً. فهناك رجل أحضر ابنه إلى بعض تلاميذ يسوع كي يشفوه ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك. فسأل يسوع الرجل منذ متى أصابه ذلك المرض فأجاب الرجل منذ صباه (الآية ٢١) وأضاف "أنه كثيراً ما ألقاه في النار أو في الماء ليهلكه، لكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحنّن علينا وأعنّا" (الآية ٢٢) لاحظ الكلمة "شيئاً"، فإن الرجل كان مستعداً، للقبول بأي قدر من المساعدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن يسوع أجابه: "إن كنت تستطيع أن تؤمن كل شيء مستطاع للمؤمن" (الآية ٢٣).

كان جواب يسوع مدهشاً، إذ أن الرجل قال "إن كنت تستطيع" وكان جواب يسوع "إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن". بينما الرجل يطلب "شيئاً" يجيب يسوع "كل شيء". ليست المشكلة في ما إذا كان يسوع يقدر، أو إلى أي مدى تبلغ قدرته. المشكلة هي في مدى إيماننا. لقد قال يسوع لإثنين من العميان في مناسبة أخرى "بحسب إيمانكما ليكن لكما" (متى ٩: ٢٩).

إن الحياة الداخلية في القائد المسيحي هي التي تقرر نجاحه أو فشله. فإذا لم يحفظ نفسه طاهراً متواضعاً مؤمناً فسيجد نفسه عاجلاً أم آجلاً في خطر السقوط. لكنه إذا صمّم على أن يكون الرجل الذي يُرضي الله فإن "عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه" (٢ أيام ١٦: ٩) بنعمة الله تستطيع أن تكون رجلاً كهذا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع

موقف القائد من الآخرين

لقد تبيَّن من الفصل السابق أن عمل القائد المسيحي ونجاحه يتوقفان في معظم الأوقات على حياته الداخلية، فإن من هو أناني أو متكبِّر أو كسول أو مرائي لا يستحق أن يكون قائداً له أتباع. وسوف نبحث الآن في حياة القائد الداخلية من ناحية أخرى، وهي موقفه الأساسي من الآخرين.

قال بولس الرسول "وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (١ تيموثاوس ١: ٥). فالهدف النهائي للتعليم المسيحي هو أن يكون في المؤمنين حب نحو الآخرين، وضمير حي في قلوبهم وإيمان حقيقي بالله. هذا أساس حياة البهجة والفرح، أن يكون ليسوع المقام الأول في حياتك، ثم يأتي الآخرون، وأخيراً نفسك.

والآن لننظر ما هي مميّزات القائد الداخلية الحاسمة التي توطِّد علاقاته بأتباعه.

له قلب الخادم:

لقد أعطانا يسوع المسيح الخلاصة الأساسية لحياته عندما قال: "لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مرقس ١٠: ٤٥). لقد كان بيننا كالذي يخدم (لوقا ٢٢: ٢٧).

لقد مضى الزمن الذي كانت العبادة تجري فيه بأن يأخذ الإنسان ثوراً أو خروفاً إلى المذبح ويحرقه فوق حطب المذبح قرباناً ومحرقة لله. لقد أصبحت عبادة الله وخدمته بتقديم المؤمن نفسه لله، كما فعل يسوع، وتقديم الخدمة للآخرين. على القائد أن يشتعل بنار المحبة لله وللناس. "بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة" (١ يوحنا ٣: ١٦).

وهذا بالطبع يتنافى مع معظم التقاليد المدنية. فإنك إذا اطّلعت على النظام الداخلي لأية مؤسسة فستجد أسماء المسؤولين فيها مرتّبة بحسب رتبهم في قائمة تبدأ بإسم الرئيس أو القائد أو المدير ثم أسماء المساعدين وبعدهم من هم دونه رتبة. في هذه الحال يتلقى أصحاب الرتب العالية الخدمة ممن هم دونهم رتبة.

جاء يسوع فعكس هذا النظام دون أن يتخلّى عن سيادته، وقال لتلاميذه "تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم فلا يكون هذا فيكم. لأن من أراد أن

 All rights reserved © 2008-2018

يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدُم، وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين" (متى ٢٠: ٢٥- ٢٨).

كان معظم تعاليم المسيح ثورياً وغريباً على السامعين في أيامه. فإن تعاليمه المتعلقة بالإرادة تستمر في إطلاق نغمة غير مألوفة في عصر يدعونا أن نتسلق مراكزنا صعوداً. فالكتاب المقدس يعلّم بأن القيادة تعني الخدمة. وفي أرقى مراحلنا الروحية نقرّ بصحة هذا المفهوم ونتجاوب معه بحرارة وإيجابية. لكن المشكلة تنشأ في أغلب الأحوال في التصرّف اليومي. فإنه من السهل أن نقبل بأن يقوم الآخرون بخدمتنا. ولنسأل أنفسنا الآن: "كم مضى علينا من الوقت منذ نظّفنا آخر مرة حذاء شخص آخر، ولا نقول غسلنا رجليه؟"

في إحدى الأمسيات قمت مع زوجتي باستقبال حوالي عشرين مدعواً لعشاء من السمك. إذ أن بعضهم ذهب إلى البحيرة واصطاد ما يقرب من أربعين سمكة كبيرة من السلمون المرقّط. وبعد العشاء تناولنا كمية كبيرة من المثلجات. ثم اقترح بعض الحاضرين أن نتعاون جميعاً في تنظيف الصحون، وكانت فكرة طيّبة.

وبينما نظّم البعض فرقاً لإعادة ترتيب الأثاث وتنظيف الأرض وجمع النفايات وغسل الصحون رأيت منظراً يصعب تصديقه. إذ أن شاباً من الذين استمتعوا بأكبر نصيب، ترك كرسيّه واتّجه نحو النافذة وهناك توارى خلف الستار.

وبعد أن قام الباقون بالعمل على أتم وجه، خرج الشاب من خلف الستار وتقدم نحو كرسيّ فجلس عليه، وبدأ يقرأ في إحدى المجلات. نتذكر هنا كلمة يسوع لتلاميذه: "ولكني أنا بينكم كالذي يخدُم" لوقا ٢٢: ٢٧) لقد قلب ذلك الشاب الآية وعمل عكس ما قاله يسوع.

هناك دائماً حاجة لخادم آخر. فالمساحة الصغيرة حيث تتركّز الأضواء، يمكن أن تضيق بمن فيها، ولكن يبقى هناك مركز في الظلال لشخص راغب في أن يَخدُم ولا تهمّه الأضواء. كان استفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والقوة الروحية، ولم يكن أعداء المسيح قادرين على مقاومة الحكمة والروح الذي كان يتكلم به. فقد كان متمكناً من كلمة الله مملوءاً بروحه فنادى بالبشارة باقتناع وجرأة. وفي أحد الأيام طلب منه الرسل أن يخدُم بعض الأرامل اللواتي كنَّ يُهمَلن أثناء توزيع الطعام.

لقد كان بإمكان استفانوس أن يقول: "هل أقوم أنا بخدمة الموائد؟ يبدو أنكم لا تقدِّرون ما فيّ من حكمة ومواهب روحية وقدرة تبشيرية. ابحثوا عن آخر غيري يقف في الظل ويخدم الموائد. وأنا متأكد من أنكم ترون جيداً أني مؤهل للوقوف تحت الأضواء في المشهد الأمامي".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن نحمد الله على أن هذا لم يكن موقف استفانوس. لقد تقدَّم بلهفة وأخذ مكانه بين ستة خدّام آخرين، وخدم الموائد. وأنا متأكد من أن هذا هو أحد الأسباب الرئيسة التي جعلته يحتل مركزاً مرموقاً في التاريخ المسيحي عبر القرون حتى اليوم. هناك شخص واحد اشتُهِرَ بكونه الأول في قافلة الشهداء للمسيح، وهذا الشخص هو استفانوس، ولا يمكن لأحد آخر أن يأخذ مكانه.

الكتاب المقدس يعلمنا أن الطريق إلى العلى هي في التواضع "وأكبركم يكون خادماً لكم، فمن يرفع نفسه يتَّضع ومن يضع نفسه يرتفع" (متى ٢٣: ١١- ١٢).

له روحٌ حسّاس

إن المزيّة الأخرى التي يجب أن يتحلّى بها القائد في موقفه من الآخرين هي أن يكون له روحٌ حسّاس. وهنا نجد أن يسوع هو مرة أخرى مثلُنا الأعلى. لاحظوا تصرّفه تجاه احتياجات الآخرين. "في تلك الأيام إذ كان الجمع كثيراً جداً ولم يكن لهم ما يأكلون دعا يسوع تلاميذه وقال لهم: "إني أشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون، وإن صرفتهم إلى بيتهم صائمين يخوّرون في الطريق، لأن قوماً منهم جاءوا من بعيد" (مرقس ٨: ١- ٣).

كان يسوع يعرف أن الإنسان يستطيع البقاء حياً دون طعام لعدة أيام، فهو قد صام أربعين يوماً وليلة في البرية، ولكنه لم ينظر حوله في الجمع ويصرّ على أن يبقيهم معه ليكلّمهم مرة أخرى. كان بإمكانه أن يقول لتلاميذه: لا تتحدثوا عن الجوع، فأنا أعرف ما هو لأني بقيت أربعين يوماً بلا طعام، وهؤلاء الناس لهم هنا فقط ثلاثة أيام. قولوا لهم بأن يكفّوا عن التذمّر لأننا بعد في أول الطريق.

هذا ضعف شائع لدى الذين لهم مراكز قيادية، فهم يقوِّمون إمكاناتهم ويتوقعون من كل الآخرين أن يحذوا حذوهم، ولكن هذا قد لا يكون ممكناً. فهناك مسيحيون مخلصون ممن لديهم قلوب حارّة تجاه الله ولكن قدراتهم محدودة. فهم بحاجة إلى السير بخطوات أبطأ ولمسافات أقصر. وبما أن القائد يعمل بشدة رغم الصعوبات ويصلّي أكثر ويدرس الكلمة بتشوّق أعظم، فهو يستطيع أن يسبق الذين هم حوله. إن هذا أصلاً ما صيَّره قائداً.

لذلك يجب على القائد أن يكون حسّاساً لحاجة الناس شفوقاً في التعامل معهم. ويجب عليه فوق كل شيء أن يتعرّف عليهم كأفراد.

في العام الماضي رجع إبني يوماً من المدرسة فأخبرته كيف سارت الأمور خلال ذلك النهار. وصار بدوره يحدّثني عما جرى معه ثم ذكر كم هو معجب بأحد المعلّمين. فسألته عن سبب ذلك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان السبب بسيطاً. قال ابني: "تصوّر يا أبي أن هذا المعلم يعرف اسمي". هذا مدهش حقاً، فليس لهذا أية علاقة بمقدرة ذلك المعلم أو ثقافته. لم يقل إبني شيئاً عن طبيعة ذلك المعلم، وهل هو هادئ أو لطيف. إن كل ما في الأمر أنه كان يعرف اسم راندي، وهذا كل شيء.

لقد علّمني الله بواسطة هذا الحادث. فالناس جميعاً يحبّون أن يكونوا معروفين. وليس ذلك فقط فالقائد العاقل يحتاج أن يعرفهم، لأنها الطريقة الوحيدة لمساعدتهم وتشجيعهم.

يعلّمنا الكتاب المقدس بوضوح أنه يجب علينا التعامل مع الناس وفقاً لمزاياهم الشخصية. "ونطلب إليكم أيها الأخوة، انذروا الذين بلا ترتيب، شجّعوا صغار النفوس، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع." (١ تسالونيكي ٥: ١٤).

في هذه الفقرة إشارة لثلاث فئات من الناس: الأولى فئة الذين بحاجة للمحافظة على الأنظمة. يصفهم بولس بالقول أنهم "بلا ترتيب".

يفهم كل راعٍ عادة هذا الوضع تمام الفهم. فهو يقضي طول يومه يحافظ على الخراف العابثة لئلا تؤذي نفسها أو تضل. "واختار (الله) داود عبده وأخذه من حظائر الغنم، من خلف المرضعات أتى به ليرعى يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه. فرعاهم حسب كمال قلبه وبمهارة يديه هداهم" (مزمور ٧٨: ٧٠- ٧٢).

إن فئة الذين بلا ترتيب قد تشمل أولئك الذين عندما يوجهون مشكلة أو صعوبة فإنهم يلقون ما بيدهم جانباً ويتركون العمل. قد يمكنهم الاستمرار ولكنهم يجدون أن من الأسهل الانقطاع عن العمل. ربما رأوا من البعض أو سمعوا ما جرح مشاعرهم، ويريدون الانسحاب من الميدان. وهذا طبعاً ما يفعله شخص غير ناضج، ويجب التعامل معه برفق. لماذا؟ إنه طفل ولكنه بحاجة للمساعدة، وعلى القائد أن يقف إلى جانبه. إن هذا يدعو للمزيد من الصبر والصلاة الحارّة، وهذا أمر ممكن.

أما الفئة الثانية فهي "صغار النفوس"، وهذه تشمل ضعفاء القلوب الذين تنقصهم الشجاعة. إنهم المعرّضون للخوف من خيالهم. إنهم بحاجة لأن يقادوا إلى حيث يمكنهم اتّخاذ خطوة الإيمان والسير إلى العمق واختبار أمانة الله نحو كل من يثق به.

إن المساعدة الكبرى التي يمكن أن ينالها هؤلاء الناس هي أن يسمعوا شهادة من الآخرين الذين يسيرون في الطريق ذاته والذين وجدوا الله الأمين، فالله بإمكانه أن يستعمل هذه الشهادات ليبني الشجاعة في حياة الخجلين الخائفين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في مدينتنا حلقة دراسة للكتاب المقدس تشرف عليها السيدة مورينا داوننغ. لقد سارت مورينا مع الله لسنوات وشهادتها المشعّة وإيمانها العميق بالله كانا مصدر إلهام لكثيرين، ومنهم أنا. لقد توسّع صفها وشهدت سيدات عديدات بأنهن استطعن، بإرشادها، الخروج من عزلتهنّ والسير في الحياة الروحية بشجاعة.

كثيرات يشعرن الآن بثقة وإيمان في الشهادة والأخريات لديهن الجرأة في الوقوف بجانب البر والحق على الرغم من تعرضهن لانتقاد الآخرين. وبالنتيجة استطاع الكثير من الناس أن يتوبوا ويؤمنوا بالمخلّص من خلال حياة أولئك السيدات. فلقد تمكنت مورينا من تقوية "ضعيفي القلوب".

إن هارفي أوسلاند قائد مسيحي في واشنطن العاصمة وقد بارك الله حياته. واليوم يقوم بخدمة الرب عدد كبير من الرجال والنساء الذين اتصل بهم الرجل ودرّبهم، وهم يواصلون الخدمة حول العالم. لقد منحه الله القدرة على إقناع الناس ودفعهم ليحيوا حياة عطاء وتضحية في عمل الله.

إن الذي يؤثر في الآخرين ليس آراء هارفي وكلامه، بل هارفي نفسه. لقد أعطى حياته وماله وكل ما يملك لله. وبين الذين عرفتهم في حياتي، ليس من هو أسخى وأكرم منه. لقد تحدّثت مع أناس قالوا أنهم تعلَّموا بهجة العطاء بالإقتداء بهذا الأخ. فقبل أن يعرفوا هارفي كانوا يخشون العطاء، فقد كانوا يكدِّسون ثرواتهم ويتردَّدون قبل دفع أية قطعة نقد في صفحة التبرعات. لكن بعد أن رأوا حياة هارفي تغيّرت حياتهم وصارت تتّصف بالتضحية والكرم. فعندما تبدو الحاجة يسرعون إلى العطاء بسخاء ويتخذون خطوات جريئة بالإيمان ويختبرون بهجة العطاء.

لنتذكر أنه "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أعمال ٢٠: ٣٥). لقد أصبح الخجلون المتردّدون الشحيحون جريئين مبتهجين بالعطاء فكيف ذلك؟ عندما كانوا مرة ضعيفي القلوب تحدَّتهم حياة رجل سار أمامهم، فحذوا حذوه. لقد ألهمتهم حياته وشهادته وقوَّتهم فانقلبت حياتهم وتغيَّرت.

أما الفئة الأخيرة فإنهم الناس الضعفاء. وأنا أعتقد أن هذا يشير إلى المؤمنين الذين ابتلوا بخطيّة قويّة، يقول بولس: "اسندوا الضعفاء". إن هؤلاء أناس بحاجة إلى مساعدة خاصّة، وغالباً ما تكون شخصية وفردية، ويجب عند مساعدتهم أن تتاح لهم الفرصة للتحدث عن ضعفهم مع شخص يثقون به ويعرفون أنه يمكن ائتمانه على الأسرار. إذ أنه من المؤلم أن تسمع الناس يتحدّثون عن قضية خاصة بك كنت قد أفضيت بها إلى مرشدك، فأخبر الآخرين بها، حتى وإن لم يقل لهم أنك صاحب القضية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن نشوب عراك طويل الأمد ضد الخطية في حياة أي مؤمن لا يعني أن هذا المؤمن لا يُرجى منه نفع في عمل الرب. كان دوسون تروتمان مؤسس حركة "الملاّحين" يتكلم كثيراً عن عراكه الطويل، وهو شاب، ضد خطية الكلام البذيء. كان يعزم على التوقف عن التلفّظ بهذا الكلام البذيء، لكنه كان يفشل المرة بعد المرة. أخيراً، بواسطة تشجيع معلّم في مدرسة الأحد ومحبته وصلواته من أجله، استطاع دوسون الانتصار على تلك العادة بقوة الله.

إن رود سارجنت رجل استخدمه الله إلى حدّ بعيد في كل العالم. وكشاب مسيحي واجه صعوبات كثيرة بسبب إدمانه على الشراب وقبل اهتدائه قضى ليالي عدة في مشارب لوس أنجلوس ليستفيق في اليوم التالي على صراع حاد يتبعه إغماء مريع. لقد اختبر الخلاص بالمسيح في اجتماع مع مجموعة من المؤمنين في مدينة باسادينا، واستمر يحضر اجتماعات لدراسة الكتاب المقدس والصلاة. ولكنه كان يقع في التجربة أحياناً، فيذهب إلى إحدى الحانات لاحتساء كأسين أو أكثر.

لقد جعلت هذه الحياة المزدوجة الخوف يتسلّل إلى قلبه. فقد كان يخشى أن يعرف المؤمنون ما يحدث فلا يعودون يستقبلونه. وكان قائد اجتماع درس الكتاب قد لاحظ ذلك، ولكنه استمر في استقبال رود للصلاة والشركة في الكلمة،وقد طبّق الوصية المنصوص عنها في الكتاب المقدس "اسندوا الضعفاء" واليوم أصبح رود نفسه قائداً مسيحياً محترماً. فالرجل الذي ساعده كان حسّاساً روحياً. عرف احتياجات رود وتجاوب معها متصرفاً بحكمة.

يجب أن تعرف الناس الذين ترشدهم، تعرف الذين هم بحاجة إلى حافز يدفعهم للحركة، والذين بحاجة إلى من يوقف اندفاعهم. فكثيرون لديهم مواهب عظيمة وهم بحاجة لدفعهم للعمل، وآخرون ميالون للتصدّي لأشياء قد تفوق مهارتهم ومقدرتهم. فلو تُركوا مندفعين فإنهم قد يجدون أنفسهم في مأزق يصعب عليهم الخروج منه.

إذن هذان الشيئان: <u>قلب الخادم والروح الحساس</u> أمران لا غنى عنهما للقائد الجيّد. فإذا كنت ترغب في القيادة، يجب أن تلتصق هاتان الصفتان بحياتك. "فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأُميّز بين الخير والشر، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟" (١ ملوك ٣: ٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس

لماذا يتفوَّق بعض القادة؟

إن الحسن هو عدو الأحسن. غالباً تسأل الناس عن صف أو سلسلة اجتماعات أو برنامج زيارة يكون الرد "لا بأس به" وقد يقول آخر "كان فظيعاً". والقول عن شيء أنه حسن، أو أنه لا بأس به، هو قول يستهدف التعزية، وإن وَصْفَ شيء بأنه وسط ينمّ غالباً عن وجود خطر. ويكون هذا الوضع الخَطِر عندما يعرف القائد حقيقة الحال ويشعر بالاكتفاء ولا يبالي.

ومن ناحية أخرى هناك بعض البرامج التي تبرز واضحة. أنها برامج منعشة تنبض بالحياة. والذين تتعلق بهم متحمّسون يعملون ويثمرون. وعندما تبحث عن السر تكتشف أن هناك قائداً له صفات قلّما توجد في شخص عادي. إنه قائد متفوّق.

التفوّق: إن الصفة الأولى الضرورية في القائد البارز هي روح التفوّق. فالذي يكافح للتفوق لا يمكن اعتباره عادياً. ولكن أين يبدأ الشخص لكي يتفوّق في هذه الصفة المميّزة؟ كيف يربّي القائد في نفسه روح التفوّق في زمن يعتبر فيه أي شيء متوسط حسناً وجيداً؟ والجواب: أن عليه أن يبدأ مع الله نفسه. عليه أن يتأمل تفوّق الله وصفاته المميّزة.

- اسم الرب مجيد وعال، إنه متفوّق: "أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات" (مزمور ٨: ١). "ليسبِّحوا اسم الرب لأنه قد تعالى اسمه وحده، مجده فوق الأرض والسماوات" (مزمور ١٤٨: ١٣).

- رحمة الله المحب متفوّقِة: "ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون" (مزمور ٣٦: ٧).

- قوة الله متفوّقة: "هللويا، سبحوا الله في قدسه، سبحوه في فلك قوته" (مزمور ١٥٠: ١).

- خلاص الله متفوّق: "هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن يَاهَ يَهْوَهَ قوتي وترنيمي وقد صار لي خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص وتقولون في ذلك اليوم: احمدوا الرب، ادعوا باسمه، عرّفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكِّروا بأن اسمه قد تعالى. رنِّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً. ليكن هذا معروفاً في كل الأرض" (أشعيا ١٢: ٢- ٥).

- عمل الله متفوّقِ: "أنصتي أيتها السموات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي. يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي. كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب. إني

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

باسم الرب أنادي، أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه، إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه، صديق وعادل هو" (تثنية ٣٢: ١- ٤).

- طريق الله متفوِّقة: "الله طريقه كامل، وقول الرب نقيّ. ترس هو لجميع المحتمين به" (٢ صموئيل ٢٢: ٣١).

- إرادة الله متفوِّقة: "فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدَّسة مَرْضِيَّة عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المَرضِيَّة الكاملة" (رومية ١٢: ١- ٢). هناك آيات كثيرة في الكتاب المقدس تحمل هذه الفكرة. نلاحظ هذا بانتباه: إن روح التفوّق في حياة القائد هو انعكاس لإحدى مزايا الله.

كثيراً ما يسيء المؤمنون المسيحيون فهم هذا التشديد، ويخلطون بينه وبين الجهد الجسدي والطموح الدنيوي. لكن هذا ليس الواقع. نلاحظ في كل الكتاب المقدس تشديداً على ضرورة التشبه بالله والسعي لنكون مثله.

أصدر الملك داود في أواخر حياته بياناً هاماً يتعلق بالعمل في بناء الهيكل. "وقال داود إن سليمان ابني صغيرٌ وغضّ، والبيت الذي يُبنى للرب يكون عظيماً جداً في الاسم والمجد في جميع الأراضي فأنا أهيئ له. فهيأ داود كثيراً قبل وفاته" (أيام ٢٢: ٥). لماذا أحسَّ داود بهذا الشعور القوي وصمَّم على أن يكون هيكل الله عظيماً جداً؟ لأنه كان يعكس اسم الله الذي هو متفوِّق في كل الأرض. لتكن هذه الآية مُذكّراً للقائد. إذا كان ما تعمله هو باسم الرب فتأكد من أنه يعكس جيداً ذلك الاسم، وبأنه فائق الفخامة.

إن الرغبة في عمل الأشياء بتفوق هي تشبُّه بالمسيح. جاء عنه في الإنجيل "أنه علم كل شيء حسناً" (مرقس ٧: ٣٧). إنه لمن المدهش أن نلاحظ أن القادة المسيحيين الذين يحبّون التشبُّه برأفة المسيح ومحبَّته يهملون تماماً ناحية التفوق في خلقه. رأيت على لوحة الإعلانات في إحدى الكنائس مرةً ملخَّصاً لموضوع عظة "التمثُّل أكثر فأكثر بالمسيح". لكن الكتابة كانت غير مرتبة والورقة نفسها قذرة مشوّهة. يا للتناقض الفظيع بين الكلام والعمل!

التقيت جون كروفورد، وهو ممثّل "الملاّحين" في نيوزيلاندا، وكان يتكلم عن مشروع بناء للجمعية في لوس أنجلوس وكان يشرف عليه. فقد كانت جمعية الملاحين تبني مكاتب لها، وكان المبنى على وشك الانتهاء والعمال يقومون بإتمام العمل في الباب الخلفي الذي يؤدي إلى ممرّ صغير خلف المبنى. كان داوسون تروتمان على وشك العودة إلى لوس أنجلوس، وحاول العمال الإسراع وإتمام العمل قبل وصوله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان داوسون تروتمان، مؤسس جمعية الملاحين، ذا مبادئ دقيقة، لذا تمّ العمل في المكاتب على هذا الأساس، لكن لضيق الوقت لم يتمكن العمال من إتقان العمل في الباب الخلفي، وكان المبرّر لذلك كون الممرّ الواقع خلف المبنى لا تمر به السيارات إلا نادراً.

عاد داوسون وكان مبتهجاً بمظهر المبنى، ورأى كل الأقسام وأبدى إعجابه بالعمل وأثنى على المسؤولين. ثم وصل إلى الباب الخلفي وصاح: "يا جون، يجب أن نغيّر هذا الباب". فأجابه جون كروفورد: لكنه باب خلفي لا يكاد يراه أحد". فأجابه: "أنا أعرف ذلك. لكننا عندما نقيم مبنى للرب فإن الباب الخلفي فيه يجب أن يكون متيناً جميلاً مثل الباب الأمامي".

فكّرت كثيراً فيما بعد في هذا القول، وكنت أسأل عما حدا بداوسون ليفكّر بتلك الطريقة. أظن أن سبب ذلك هو معرفته بأن الله يرى الباب الخلفي بالطريقة ذاتها التي يرى بها الباب الأمامي، بخلاف ما يفعله الإنسان.

يتحدث موظفو مكتب داوسون عن دقّته في كيف يجب أن تبدو الظروف والخطابات التي تصدر عن المكتب من حيث الأناقة. فكثيراً ما وصلت رسائل من رعاة الكنائس يخبرون بها عن تأثُّرهم بأناقة رسائل الملاحين. بل إن البعض ذكروا أنهم صمَّموا على استخدام مستوى الأناقة الرفيع ذاته عند إعدادهم نشرات كنائسهم التي تعلّق على لوحات الإعلانات.

عند حضوري المؤتمرات الصيفيّة التي تنعقد في المركز الرئيسي العالمي لجمعية الملاحين في غلين آيري كنت أسأل بعض الحضور، بعد انتهاء أسبوع حافل بالعمل: "ما هو أعظم تحدّ واجهته أثناء حضورك هذا المؤتمر؟" وكانت أغلب الإجابات لسؤالي هذا:

"إن أكثر ما أثّر في نفسي الاجتهاد الذي أبداه الشبان في تنظيفهم أرض الغرف." أو: "دهشت من الطريقة الرائعة التي بها اعتنى المسؤولون بأرض المؤتمر." أو: "دهشت كثيراً من اهتمام العمال بتنظيف وتلميع زجاج النوافذ". إن من يصر على القيام بأي عمل في شكل تام متفوّق يترك أثراً رائعاً في معارفه حتى بعد موته بزمن طويل.

نلاحظ في مثل الوزنات الذي قدّمه يسوع (في متى ٢٥: ١٤- ٣٠) أن السيد في القصة أثنى على العبد الصالح لأنه عمل باهتمام، لكنّه وبّخ العبد الكسلان بل اعتبر كسله نوعاً من الشر. لقد دعا العبد الصالح أميناً ودعا الكسلان شريراً. ولنذكر نصيحة بولس لأهل رومية: "غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب." (رومية ١٢: ١١).

يعمل الله في حياتنا بسبع طرق على الأقل لتكون لنا روح التفوّق:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١- يساعدنا لندرك مدى ضعفنا: "فقال لي تكفيك نعمتي لأن قوّتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري بضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح". (٢ كورنثوس ١٢: ٩).

٢- من خلال صلاة الآخرين: "يسلم عليكم أبو فراس الذي هو منكم عبد للمسيح، مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات لكي تثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله" (كولوسي ٤: ١٢).

٣- من خلال أناس يكلموننا بالكلمة: "طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل نقائص إيمانكم" (١ تسالونيكي ٣: ١٠).

٤- عندما ندرس الكتاب المقدس لأنفسنا: "كل الكتاب هو موحىً به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦- ١٧).

٥- من خلال الآلام: "وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع، بعدما تألمتم يسيراً هو يكمِّلكم ويثبِّتكم ويقويكم ويمكِّنكم" (١ بطرس ٥: ١٠).

٦- بإعطائنا تشوُّقاً للقداسة: "فإذا لنا هذه المواعيد أيها الأحبّاء لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح، مكمِّلين القداسة في خوف الله" (٢ كورنثوس ٧: ١).

٧- من خلال الرغبة في جعل ثمار حياتنا مثالية: "الذي سقط بين الأشواك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذّاتها ولا ينضجون ثمراً" (لوقا ٨: ١٤).

لابد هنا من توجيه بعض كلمات التحذير. أولاً، نحتاج أن نفحص دوافعنا. ليس التفوّق في حدّ ذاته هو المستوى الذي نسعى إليه بل التفوّق من أجل المسيح.

لقد تزوَّجت منذ سبعة وعشرين سنة من فتاة رائعة، وأقرّ بخجل أني كنت أنسى أحياناً تاريخ عيد زواجنا، ولكن عندما تذكَّرته اشتريت باقة من الورد. والآن ماذا قد يكون موقفي لو دخلت إلى البيت يوم ٢١ حزيران- يونيو وقلت لزوجتي: هذه باقة أخرى لهذا العيد. لقد أهديتك باقات لسنوات خلت، واليوم باقة أخرى في الوقت المناسب. إني أشعر بأن من واجبي أن أفعل ذلك ولذا أقدِّمها لك كي تبتهجي بها.

أهذا هو الموقف الصحيح في المناسبة السعيدة؟ باقة الورد جميلة وأهديت في يوم عيد زواجنا بلا تأخير، لكن الكلمات ثقيلة والدافع لم يكن غير الواجب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والآن دعونا نتصوّر إحدى السنوات التي نسيت فيها تاريخ الزواج، وبعد ذلك بثلاثة أو أربعة أيام تذكّرت فجأة، وشعرت بصدمة ندم لتلك الهفوة. فأسرعت إلى محل الزهور واخترت باقة، ثم اتجهت نحو المنزل، وعندما دخلت موارياً الباقة خلف ظهري، تقدمت نحو فرجينيا قائلاً: يا حبيبتي إني متأكد من أنك تلاحظين مدى خطأي. وما يحيّرني فعلاً هو كيف تتمكنين من تحمُّل أعباء الحياة مع شخص مقصّر مثلي، وهذا ما يسعدني في الوقت نفسه. ولكن، دعيني أقدم لك هذه الورود يا حبيبتي، وأضيف بأني أحبك بكل قلبي، وأطلب منك الصفح عن تقصيري، فهل أجد في قلبك الكبير مكاناً لصفح إضافي ولمرةٍ أخرى؟

إني أسألكم: كيف تجدون هذه الطريقة؟ في اعتقادي شخصياً أنها أشدّ تأثيراً من فرح طفل بلعبة جديدة. لماذا؟ مع أني لم أحضر في الوقت المناسب، ومع أني نسيت تماماً، ومع أني أخفقت فعلاً. ففي المرة الأولى قمت بالعمل المناسب في الوقت المناسب، إلا أنه لم يُكتب لي النجاح. وفي المرة الثانية رغم إخفاقي، تم الأمر على ما يرام، فلماذا؟ إن الدافع هو الفارق الكبير.

أما الشيء الثاني الذي ينبغي أن ينطبع في أذهاننا فهو أن هناك إنساناً واحداً فقط تمكن من عمل كل شيء حسناً. وهذا الإنسان هو يسوع. ومع هذا الانطباع اقرؤوا بانتباه (عبرانيين ١٣: ٢٠- ٢١) "وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي، ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين". يضع كاتب الرسالة لنا بهذا مستوىً عالياً: "يكمّلكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته".

كيف يمكن لأي إنسان أن يتمّم ذلك؟ "بواسطة يسوع المسيح". نعم كل لحظة من كل ساعة من كل يوم في حياته. إذن، أملي الوحيد في بلوغ مستوى عالٍ من الجودة والتفوّق متمثلاً بالمسيح هو أن أسلم له كياني مرتاحاً راحة كلية بين يديه وأن أدعه يحيا حياته من خلالي. إذ لا يتوقف الأمر على الجهد والعرق، ولا على العزم والتصميم مهما بلغت هذه أو صدقت. لا يمكن بلوغ ما نرجو بلوغه إلا "بيسوع المسيح".

إن "رئيس إيماننا ومكمله" ينتظر لكي يحمل على عاتقه خيبتنا وفشلنا ويحولهما إلى إنجاز يعطي المجد للرب. الواحد الذي يعمل كل شيء حسناً لا يزال على استعداد ليكملكم في كل عمل صالح عاملاً فيكم ما يرضي الله.

المبادرة: إن الصفة الثانية للقائد الناجح هي المبادرة، إنه لا ينتظر الأشياء حتى تحدث بل إنه يساعد على حدوثها. وإنه على أهبة الاستعداد للعمل، وهذا هو أحد الأسباب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التي تجعل البعض يتجنبون مسؤوليات القيادة. ذلك أنهم يعلمون أن من يقود لابد سيتحمل العواقب. ومن أهم صفات القيادة الرغبة في ذلك العمل والاحتمال.

الكتاب المقدس مملوء من الأمثال عن أناس أخذوا زمام المبادرة في إتمام مقاصد الله في زمنهم. فهناك مثلاً داود الذي اختار يوآب ليكون قائداً لجيشه، لأن يوآب كان رجل مبادرة "وقال داود أن الذي يضرب اليبوسيين أولاً يكون رأساً وقائداً، فصعد أولاً يوآب ابن صروية فصار رأساً" (١ أيام ١١: ٦) وكذلك أشعياء تقدّم الصفوف ليصبح صوت الله في جبله. "ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟ فقلت: هأنذا، أرسلني" (أشعياء ٦: ٨).

إن من الواضح أن المبادرة هي من الصفات الأساسية للقائد. فلو فرضنا أن هناك عاصفة ثلجية في ليلة اجتماعنا في منتصف الأسبوع، ولم يتمكن سوى القليل من الوصول إلى الكنيسة. ففتحوا الأبواب وأضاءوا الأنوار وانتظروا حضور القسيس. إنهم لم يدروا أن القس قد تعطلت سيارته، وغمرها الثلج، وأنه يجاهد بقوة لجرف الثلج، حتى يتمكن من إعادة تحريك السيارة. لقد استعار رفشاً وأخذ يحفر، واستوقف شابين من المارّة ليساعداه في دفع السيارة، ولكن بدون جدوى. فالسيارة لا تتحرك والوقت يمر بسرعة ولقد تأخر كثيراً.

في هذه الأثناء كان المجتمعون في الكنيسة يتساءلون عما جرى لراعي الكنيسة وقد جلسوا ينتظرون بدء الصلاة. وأخيراً وقف أحد الرجال واقترح أن يرنّموا ترنيمة، فأعلن رقمها وبدأوا يرنمون وأخذ هو يقود الترنيم. لا يهم هنا إن كان الرجل موسيقياً ماهراً وقد سبق له أن قاد الترنيم أم لا، بل المهم أنه الآن أصبح قائداً. قد يكون أو لا يكون ماهراً، وقد يعرف أو لا يعرف كيف يتصرف. ولكن بمجرّد أنه أمسك بزمام المبادرة عندما وقف على قدميه، فقد أصبح بالفعل قائداً قد يقوم بالعمل على الوجه الكامل أم لا. ولكن بالرغم من كيفية تأديته فهو الرجل المسؤول. فالمبادرة هي أهمّ مسؤوليات القيادة.

بالطبع من واجب كل مسيحي أن يأخذ المبادرة ويقدم نفسه لله كي يقوم بالخدمة. فإن شخصيات الكتاب المقدس الذين لم يُعرفوا بشكل خاص كمرشدين أو قادة كانوا مباركين، وقد استخدمهم الله فقط لأنهم كانوا يقومون بالخدمة دون تردّد.

أصبحت رفقة زوجة لإسحق "وأماً لملايين" لأنها أخذت المبادرة عندما خدمت عبد إبراهيم فتطوَّعت لاستقاء الماء من البئر ليس فقط له، بل لجمالِه، وكانت مهمة شاقّة. ودلّ عملها هذا على أنها هي التي اختارها الله زوجة لإسحق (انظر تكوين ٢٤: ١٤- ٢١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهناك غلام أصبح الشخصية البارزة في المعجزة التي أجراها يسوع لأنه قدَّم طعامه من خبز وسمك ليساعد في إطعام جمع جائع (انظر يوحنا ٦: ٩- ١١).

ولكن أعظم مَثَل في الكتاب المقدس هو الله نفسه. "سمعان قد أخبر كيف افتقد الله الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه" (أعمال ١٥: ١٤). فلو ترك الأمم وشأنهم لما جاء أحد منهم إليه، لذلك قام الله بالمبادرة. "ولكن الله بيَّن محبَّته لنا لأنه ونحن خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية ٥: ٨) إن أخذ المبادرة هو من مزايا الله.

على القائد أن يكون مستعداً دائماً لأخذ المبادرة بطرق متعدِّدة. من هذه كما سبق فاقترحنا هو في حقل الخدمة. ولنا في حياة بولس الرسول مثل حيّ. كان بولس مسافراً بالبحر إلى رومه، فانكسرت السفينة ونزل مع الركاب في مالطة، وكان سكان هذه الجزيرة كرماء في إسعاف الركاب، "لأنهم أوقدوا ناراً وقبلوا جميعاً من أجل المطر الذي أصابنا ومن أجل البرد. فجمع بولس كثيراً من القضبان ووضعها على النار، فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت في يده" (أعمال ٢٨: ٢- ٣). هذا هو بولس، الرجل المتقدم في السن، يجمع حطباً لتدفئة الآخرين. لا شك أنه كان تعباً مثل سائر الركاب ولكنه أخذ المبادرة لخدمتهم. لقد عمل كما كان يعمل يسوع لو كان لا يزال في هذه الأرض.

كان قائد صف الأولاد في مدينتنا شاباً اسمه مارك سولسر، تعوَّد أن يخدم الأولاد بلا تحفّظ. فقد كان ينقلهم في سيارته إلى مختلف الحفلات الكنائسية والمدرسية، ويرتّب غرفة الصف بعد انتهاء درس الكتاب. كما كان دائماً على استعداد لخدمتهم ليلاً ونهاراً. وكنت ألاحظ أن أولئك الأولاد لم يعرفوا قط رجلاً مثل قائدهم، فكانوا متأثرين كثيراً بحياته.

وعندما اقترب عيد الميلاد قام اثنان من أولئك الأولاد بالاتفاق على أن يقدما لقائدهم هدية مفاجئة، دون أن يخبرا أحداً بذلك. فذهبا إلى أحد المحلات وعملا كل ما يلزم بهذا الخصوص. وفي ليلة عيد الميلاد قدما الهدية إلى مارك. وعندما فتحها وجد علبة وكان في العلبة كأس فضية نُقش عليها عبارة "إلى ثاني أعظم خادم في العالم". لقد أثرت حياة مارك تأثيراً عميقاً في تلاميذه، وقد كانت نتيجة ذلك التأثير نمواً في تصرفاتهم، فبدأت مبادرته تعطي ثماراً صالحة.

هناك طريقة أخرى لممارسة المبادرة، وهي باتّخاذ الخطوة الأولى للمصالحة. وهناك فقرتان في الكتاب المقدس تعطيان توجيهاً واضحاً. "فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكَّرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدّام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدِّم قربانك" (متى ٥: ٢٣- ٢٤). "وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك" (متى ١٨: ١٥). فإذا كنت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أسأت إلى أخيك وذكَّرك الله بذلك فعليك أخذ المبادرة بالذهاب وطلب المغفرة. وإذا كان أحد قد أساء إليك فعليك أيضاً أخذ المبادرة والذهاب إليه محاولاً تسوية الأمر والتفاهم. ففي كلتا الحالتين يحسن أن تقوم بالمبادرة أولاً.

إن ذلك بالطبع من أصعب ما يقوم به الإنسان. وهو خاصّة صعب للقائد. ولقد صرَّح لي كثير من المبشرين عن الصراع الذي عانوه بهذا الصدد في حقل التبشير إذ كانت الكبرياء هي العائق. وعندما يصمِّمون على التنازل عن كبريائهم وأخذ المبادرة كان الله يمنحهم الفرح والانتصار والبركة في مواقفهم الشخصية.

إن إحدى حيل الشيطان ليجعل القائد يفكر بأنه لو تواضع وذهب إلى أحد أفراد الفرقة ليعتذر عن إساءة اقترفها أو ليسوّي معه أمراً ما، فسوف ينظر إليه ذلك الشخص بترفّع. لا شيء أبعد عن الحقيقة من ذلك. إن القائد بهذا العمل يظهر على أحسن ما يكون، والشخص الآخر يعرف ذلك. واعتيادياً يكسب القائد تلميذاً أميناً وصديقاً وفياً ومساعداً صادقاً في العمل.

هناك ميدان آخر لممارسة المبادرة. وهو طلب المعرفة "المشورة في قلب الرجل مياه عميقة، وذو الفطنة يستقيها" (أمثال ٢٠: ٥). إن عمل القائد معقّد ولا يمكن أن نتوقّع منه معرفة كل شيء. ولذا فإن عليه أن يبحث عن ذوي المعرفة ويتعلم منهم.

ومرة أخرى تقف الكبرياء في الطريق. وإني أذكر حادثاً في حياتي تبيَّن لي فيه مدى ذلك. فقد نُقلت من حقل التبشير إلى مركز مسؤول في الإدارة العامة. ولم أكن قد قضيت وقتاً طويلاً في القاعدة المحلية قبل ذلك. وبذا لم أكن ملماً تماماً بما يجري. ولقد وجدت نفسي عضواً في لجنة لمناقشة قضايا لا أعرف عنها سوى القليل. وكنت متردِّداً في الاعتراف بذلك أو بطرح أسئلة. فلقد ظننت أنهم يتوقعون مني المعرفة. وكنت مقتنعاً بأني لو بدأت بطرح الأسئلة فسوف يتبيَّن لهم كم أنا جاهل. وبذا واصلت البقاء في جهلي.

وكنت أُدعى من وقت إلى آخر للجلوس مثلاً مع اللجنة المالية، ولقد مرَّت شهور قبل أن أكتشف بأنهم يشيرون للحروف م. ض. د. كانوا يقصدون بها "موظفي ضريبة الدخل". ويمكنكم بالتالي أن تتصوَّروا مقدار النفع الذي كنت أسديه لتلك اللجنة. فلو أني تخليت عن كبريائي وألقيت بعض الأسئلة، فلربما أتاح لي ذلك إسداء خدمة ما. إذن لا يجوز للقائد أن يتصرّف بالطريقة التي تصرفت بها أنا. بل يجب عليه أن يبحث عن المعلومات التي يحتاج إليها ليقوم بعمله على الوجه الأكمل، كما يجب عليه أن يطرح الأسئلة وأن يكون راغباً في التعلُّم من الآخرين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يمكن تعريف المبادرة بأنها الروح الدافع للعمل. فعلى القائد أن يدرب نفسه على التفكير مسبقاً، فيرى قبل الآخرين وأبعد وأكثر مما يرون.

فلو روض الإنسان نفسه على التفكير في المستقبل فسيكون لعمله أثران إيجابيان. الأول، إبعاده عن المشاكل، أي أنه يتجنب العقبات التي تعترض طريقه، ويسأل نفسه: ماذا قد يحدث لو قمنا بذا العمل؟ أو إلى ماذا قد يؤدي ذلك عند حدوثه؟ هل يؤدي ذلك إلى تلك النتيجة؟ وهل هي النتيجة المرجوَّة فعلاً؟ فإن لم يكن ذلك فعلينا ألا نسير في هذا الاتجاه. ثانياً، بالتفكير في المستقبل يمكن للقائد أن يحدِّد الهدف له ولفريقه، وبذا يمكنه أن يكتشف أفضل الطرق لبلوغ الأهداف، ويبدأ بتوجيه العمل من خلال تلك الخطوط.

مع هذا كله من المفترض أن يكون القائد في شركة مع الرب من خلال الكلمة والصلاة (انظر الفصل ٢) وإلا فهو قد ينقاد لفهمه البشري ويرسم خططاً بموجب حكمة هذا العالم. على القائد أن يتذكَّر أن الحق لا يوجد إلا في يسوع المسيح. صحيح أن في المكتبات كتباً كثيرة تبحث في الإدارة والقيادة، وقد تكون نافعة لمن يدرسها، إلا أن مصدر إرشادنا الأساسي هو الله. "لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس" (١ كورنثوس ١: ٢٥).

الإبداع: أما المزيّة الثالثة التي يتفوَّق بها القواد فهي الإبداع. إنهم لا يخشون تجربة أشياء جديدة ومختلفة. وعندما تنظر إلى حياة الرسل لا تجد الرتابة التي تسيطر على الحياة في هذه الأيام. وهذا الفارق يعود إلى طبيعة الله التي تغاير الطبيعة الإنسانية.

ولكي نفسر هذا نقول أن الله هو إله تنوُّع ونظام بينما يحب الإنسان محاكاة غيره ولكن في فوضى. فالإنسان يجاهد ليكون كغيره. اذهب إلى أي مدينة وتطلَّع إلى المباني التي شيِّدت في عصرٍ ما فهي تبدو متشابهة. فالإنسان يجتهد في محاكاة أخيه الإنسان في كيف يتحدَّث وماذا يلبس أو يشتري. كما يمكن التعرُّف على الموسيقى بحسب العهود المختلفة إذ أن لها تشابهاً كبيراً.

كم نفرح إذ نرى الله يعمل بطريقة مختلفة. فهو يحب التنوُّع. أحس بالدهشة إذ أرى التنوُّع في حديقة الحيوانات. فالتمساح والزرافة والفيل تظهر حب الله للتنوُّع. الأزهار والطيور والأشجار تعلِّمنا الحقيقة ذاتها. يقول العلماء أنه لا يوجد ندفتان من الثلج متشابهتان. فعندما نفكر في كل هذا يتّضح لنا الفارق العظيم بين عملنا من أجل الله وبين أعمال الله نفسه. فإن أعمالنا تسير على وتيرة واحدة باهتة مملّة لسنة بعد أخرى. لا يزال، وللأسف، ينقصنا الإبداع والروح الخلاّق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن إبداع الرب ظهر لي بوضوح منذ وقت قريب وبطريقة ملحوظة ومدهشة وطريفة. كنت مع زوجتي في زيارة للإتحاد السوفييتي وبينما كنا نستعد للعودة كان علينا التوقيع على أوراق نتعهَّد بموجبها بأننا لن نخرج من روسيا أوراق نقد (روبل) وكان مصرَّحاً لنا بالاحتفاظ ببعض قطع النقد الصغيرة فقط على سبيل التذكار. أما الخروج من البلاد بأوراق نقد روسية فيعتبر جريمة يعاقب عليها القانون. وعليه فقد أبدلنا ما لدينا من روبلات بدولارات أميركية قبل التوقيع على ذاك التعهُّد. ثم جرى فحص جوازات السفر وجلسنا في المطار منتظرين إقلاع الطائرة لتخرج بنا إلى هلسنكي في فنلاندا.

اقترب بعد ذلك موعد سفر طائرتنا فدَعَوْنا لنقف في صف للتفتيش، وكان الأول سائحاً أميركياً ضخم الجثة. ففتشوا حقائبه ثم مرَّ أمام آلة كشف المعادن فرنّ جرس الآلة. فأفرغ جيوبه مما فيها ومرَّ ثانية أمام الآلة فرنَّ الجرس ثانية. ثم فك حزامه وحاول المرور وللمرة الثالثة رنَّ الجرس. وبدا عليه كأنه يتسلّى بذلك لدرجة أنه بدأ يقهقه ضاحكاً، وكان ضحكه مسموعاً في أرجاء المكان، وتكرر ذلك مراراً كما تكرَّر ضحكه.

وكنا حوالي أربعين شخصاً ننتظر دورنا في التفتيش بينما كان ذلك الأميركي الضحك ذو البنطال الضيق والقميص المفتوح يدور حول آلة كشف المعادن ويستمر رنين الجرس دون أن يعرف أحد السبب. وتضايق المفتِّشون بينما ضحك المسافرون، وكنا جميعاً في مأزق.

وفي خلال الفوضى كانت زوجتي واقفة، وهي التالية في الصف كي يفتِّشوا حقيبة يدها، دون أن تدري أن في قعر تلك الحقيبة كانت ثمانية روبلات روسية نسيت زوجتي أن تبدلها. لقد كانت على وشك أن يلقى القبض عليها وتعاقب بموجب القانون الروسي. ولكن المهزلة استمرت والرجل يدور والجرس يرن والجمع يضج بالضحك. تأخر إقلاع الطائرة دون أن يبدي الجمع أي اهتمام، فهم لم يروا من قبل شيئاً مماثلاً. بل كان ذلك أقرب إلى حفلة ترفيهية. وبالطبع لم يكن ذلك ليروق للمفتّشين، فالروس يعتبرون كثيراً قوانينهم وآلات التفتيش، التي أصبحت الآن سبباً لضحك سياح أميركيين.

وأخيراً قال المفتش بغضب "اذهبوا"، إذ لم يبقَ وقت لاستكمال التفتيش. وسارت زوجتي إلى الطائرة وهي تحمل في حقيبتها النقود الممنوعة. وصلنا هلسنكي فاكتشفنا تلك النقود وشعرنا بصدمة. عندئذ عرفنا لماذا كان جرس الآلة السوفييتية يظل يرنّ دون سبب ظاهر. لقد سمح الله بأن تعمل تلك الآلة بشكل مختلف ذلك اليوم لأنه أراد إنقاذ اثنين من أبنائه البسطاء من مأزق كانا على وشك الوقوع فيه. لقد عمل الله بطبيعته الخلاّقة المبدعة. ولا عجب فالإبداع هو جزء من كيانه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كنت منذ وقت قصير أجلس في مكتب رئيس مجلس إدارة إحدى المؤسسات المسيحية، وكنا نتباحث في عمل الله حول العالم، فأراني رسالة وصلته حديثاً من أحد رجاله في حقل التبشير. كانت الرسالة مملوءة من الأخبار وتحتوي على كثير من التقارير المشجِّعة عن بركة الله في العمل. ولكن جملة واحدة في الرسالة كانت تزعج المدير والجملة تقول: "إننا لا نزال نتبع البرنامج ذاته الذي اتبعناه خلال السنوات الخمس الماضية ولا نزال نجني أفضل الثمار".

نظر الرئيس إليّ وقال: "إذا كانوا اتّبعوا هذا البرنامج خلال السنوات الخمس الأخيرة، فمن الواضح أن العمل لم يتقدَّم. يجب أن تكون هناك طريقة أفضل وعليهم اكتشافها والعمل بها".

لقد فكرت طويلاً في هذا القول، وأنا الآن مقتنع بأن ذلك الرئيس كان على حق. لاشك أن هناك طريقة جديدة تأتي بنتائج أعظم من المؤكد أننا لم نعثر بعد على أحسن طريقة ممكنة ولكننا نسير في اتجاه الأحسن، لابد أن هناك مجالاً للتقدم وأنه لمن المؤكد أن الله يريد أن يكشف لنا عن تغيرات وتوجُّهات جديدة لحصاد عظيم في ملكوت الله.

إن الأسلوب الخلاّق الذي عمل به أولئك الرجال الأربعة المجهولون الذين أوصلوا صديقهم المفلوج إلى يسوع لا أزال أرى فيه تحدِّياً عظيماً. "وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاءوا إليه مقدّمين مفلوجاً يحمله أربعة. وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان، وبعدما نقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: يا بُنيّ مغفورة لك خطاياك" (مرقس ٢: ٢- ٥).

لدينا هنا أربعة رجال يواجهون مشكلة. فقد أرادوا حمل صديقهم المفلوج إلى يسوع ليشفيه لكن البيت الذي كان يسوع فيه كان مزدحماً جداً بالناس. لقد كان بإمكانهم القول: "نأسف يا صديقنا لأن ليس بإمكاننا عمل شيء لمساعدتك". ولكنهم لم يقولوا ذلك، فقد كان حبهم لصديقهم وشفقتهم عليه وتحمسهم للوصول به إلى يسوع داعياً لخطَّة إبداعية. فلقد ثقبوا فتحة في سطح البيت ودلّوا المفلوج من فوق. ماذا كان رأي يسوع؟ لم يقل لهم: "ما هذا التصرُّف؟ عملكم هذا لم يقم به إنسان من قبل. إنكم تشوشون الاجتماع وتقاطعون العظة، بل تعرّضون الحضور للخطر. فقد يسقط حجر على رأس أحد الناس". لم تُثْنهم صعوبة عن إتمام عملهم فامتدحهم يسوع، وسجّل ذلك الروح القدس من أجل تعليمنا.

كيف يمكنك العمل بروح الإبداع؟ إن الطريقة هي أن تحصر تفكيرك في نطاق الموضوع وأن تستمر في البحث عن طريقة أفضل. درِّب نفسك على أن تفكّر أن أية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نظرية بعد نجاحها تصبح قديمة. فاحتفظ بذهن متوقّد وصلّ طالباً أن تُعطى الجسارة والشجاعة اللازمة لتجربة شيء جديد يلهمك به الله.

ولكن الشيء المهم والأساسي هو أن تحيا باستمرار في شركة حميمة مع يسوع المسيح. "فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما في الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواءً كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق" (كولوسي ١: ١٦). إن كل شيء في العالم الروحي غير المنظور خلق بواسطة يسوع المسيح، وكل شيء في العالم المادي المنظور خلق به أيضاً. ولذا يقول الكتاب المقدس عن المسيح أن الله به "عمل العالمين" (عبرانيين ١: ٢). إن كلمة العالمين تشمل الكون كله ما يُرى منه وما لا يرى. هل تريد أن تكون خلاّقاً؟ إن عليك أن تُمضي وقتاً طويلاً في شركة مع الرب الذي هو الخالق الأعظم.

عندما سار يسوع في الأرض يعلم ويشفي المرضى أدهش جميع الذين التقى بهم. لقد وجدوه مختلفاً عن سواه من المعلّمين. قالوا عنه: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يوحنا ٧: ٤٦). رآه آخرون فتذمَّروا لأنه كان يعيش بطريقة مناهضة لتقاليدهم القديمة. ونحن الآن، أنت وأنا، ننظر إلى الماضي ونشكر الله لأجل حياة يسوع.

وطِبقاً لهذا النموذج إن علينا أن نحاول بكل قوانا كسر طوق التقاليد والخروج من القالب القديم. فعندما يرى الله أن لدى القائمين على عمله هذا الروح وهذه الرغبة فإنه سيمد إليهم يده بالبركة ويقول كما قال في الماضي "هأنذا صانعٌ أمراً جديداً" (أشعياء ٤٣: ١٩).

هناك، إذن، ثلاثة أشياء يجب أن نسعى لنحصل عليها من الله. الأول هو روح التفوّق. والطريق لإكمال التفوّق بعد أن نتخذه مقياساً نسعى لبلوغه هو بأن نسلم أنفسنا للمسيح فنستريح بين يديه ونجعله يحيا حياته فينا. إنه الوحيد الذي عمل كل شيء حسناً. والشيء الثاني هو المبادرة. وهنا أيضاً يكون الرب نفسه مثلنا الأعظم. وإن أفضل طريق نسلكه فنلقي نجاحاً ونجني أكثر الثمر هو بأن نتعلم من الرب بينما نسعى لنعمل عمله. والثالث هو روح الإبداع. ومرة أخرى إن الشركة مع يسوع نفسه بقلوب مفتوحة هي خير سبيل نسلكه فتزداد في حياتنا روح الإبداع بمساعدة روح الله وتأييده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس

كيف تُجري تأثيراً؟

في الكتاب المقدس شخصية مرموقة هو الملك حزقيا. لكن أباه آحاز كان إنساناً فاشلاً. لقد أخطأ وجرَّ على شعبه الشرَّ والخراب. كان هذا الملك آحاز يجلس ويفكّر ليكتشف شرّاً جديداً يقترفه. لقد عمل تماثيل مسبوكة للبعل وشجّع الشعب على السجود لها. ذبح الذبائح للأصنام على المرتفعات والتلال، وأقفل أبواب الهيكل بيت الرب. بل قدّم الذبائح البشرية حسب العبادات الوثنية وبنى المذابح في كل زاوية في شوارع أورشليم. لقد فعل الملك آحاز هذه الخطايا طوال ١٦ سنة من حكمه، ثم مات.

وحسب نظام الحكم في ذلك الزمن ملك ابنه حزقيا عوضاً عنه. كان الملك الجديد في الخامسة والعشرين من عمره عندما ملك.راقب أعمال أبيه وفساده. أبى أن يحذو حذو أبيه وقرَّر تغيير الاتجاه، فدعا الشعب للعودة إلى الله. عندما نتأمل الفوضى التي ورثها عن أبيه نستبعد أن يتمكن هذا الملك من إجراء إصلاحات ذات قيمة في فترة حياته. ولكننا قد نكون مخطئين في التقدير. فإن حزقيا تمكَّن في سنوات قليلة من تغيير الوضع كلياً. " وكان فرحٌ عظيم في أورشليم، لأنه من أيام سليمان بن داود ملك إسرائيل لم يكن كهذا في أورشليم" (٢ أيام ٣٠: ٢٦).

إنها فعلاً قصة مشوِّقة. لقد أجرى حزقيا تأثيراً وأحدث تغييراً أرضى به الله، وكان ما عمله رائعاً. وكلما درست حياته ترى أنها اتَّسمت ببعض المبادئ الأساسية. من هذه المبادئ تبرز ثلاثة:

الإخلاص القلبي: إن المبدأ الأول في إجراء تأثير يرضي الله هو الإخلاص القلبي. "وكل عمل ابتدأ به في خدمة بيت الله وفي الشريعة والوصيّة ليطلب إلهه أنما عمله بكل قلبه وأفلح" (٢ أيام ٣١: ٢١).

إن بولس الرسول يحضنّا للسير في هذا الاتجاه. "وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس" (كولوسي ٣: ٢١). وقد قال سليمان كذلك "كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوَّتك، لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها" (جامعة ٩: ١٠). وعندما نقرأ هذه المقاطع نبدأ نرى أن الله يريد أناساً متشوّقين غيورين. لكن ماذا نجد في روح العصر الحاضر؟ هل الاتجاه الأغلب هو للإخلاص القلبي؟ بل ما أكثر ما نسمع قولاً يتردَّد في كل يوم: "على مهل" أو "لا تتعب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كثيراً" أو "لا تجهد نفسك". إن خطورة هذا التراخي وعدم العمل بكل القلب هي في أنه داء قد يصاب به القائد المسيحي فيقصّر عمله عن الجودة ويتعرض للفشل.

كان مَثَلي الأعلى أثناء دراستي الثانوية زميلاً أكبر مني كانوا يلقبونه بالكرة الطائرة، فقد كان متفوّقاً في الرياضة وطالباً ناجحاً. كنت أحب محاكاته في مشيته وتصرفاته. بل لقد تعلَّمت توجيه كرة السلة كما يفعل هو وقذفها بقوة تضاهيه تقريباً. لقد كان رامي الكرة في الفريق، وصرت أحاكيه في كل شيء حتى في الطريقة التي يلبس بها قبَّعته. وصممت أن أصبح الرامي في الفريق بعد تخرُّجه.

وفي السنة التي تلت تخرُّجه تقدمت لامتحان لاعبي الفريق. وعندما سألني المدرِّب إن كنت أرغب في الاشتراك في اللعب أجبته: أتسألني إن كنت أرغب؟ إني أحب ذلك بكل قواي، بل أشعر أن لا رغبة لي في شيء أكثر من هذه اللعبة.

وبكل طريقة أعرفها حاولت أن أبيِّن له حماستي وتصميمي. فسرّ بهذا ودعاني للاشتراك ومحاولة إبراز مقدرتي. وقد عملت وتوصَّلت فعلاً إلى مركز الرامي في الفريق.

ماذا تظنون أنه كان سيحدث لو أني أجبت المدرب مثلاً "لا أدري. لقد فكرت في هذا ولكني غير متأكد... ربما أحاول، مع أن هذا لا يهمني كثيراً". في هذه الحال كان من الممكن أن يلقي المدرّب إلي بنظرة ثانية وينصرف في سبيله. وقد تكون تلك خاتمة المطاف في ما يتعلق بقصة لعبتي المفضَّلة.

هل تظنون أن لدى الله مقاييس أوطأ من مقياس مدرِّب كرة القاعدة (بيس بول)؟ لا البتَّة. إن الله يبحث عن أناس يتعهدون بالإخلاص القلبي في خدمته. إن الإنسان السهل، المتهاون، الذي يسير على نهج هذا العصر ليس من مقياس الله في شيء. ومن الصعب الاحتفاظ بمستوى كتابيّ في عصر لا انضباطي. يجب أن يكون مقياس تصرّفاتنا عالياً.

في عامي الأول من خدمتي في الغرب الأوسط في الولايات المتحدة تصادفت مع شاب يدعى جوني ساكيت. كنا نشترك في درس الكلمة والصلاة، وربط الله بين قلبينا. بدأ يظهر من جوني ما يدلّ على أن له مستقبلاً في عمل المسيح. وسألني يوما ًإن كان يستطيع الانضمام إلى فريقنا. فشرحت له مقدار ما في ذلك من التزام فأظهر حماسة وانضمَّ إلينا. وكان مساعداً قوياً مملوءاً من النشاط والاندفاع.

استمر التقدم لعدة أشهر. وفي أحد أواخر الأسبوع خطّطنا للقيام بنشاط تبشيري في حرم جامعة ولاية أيوا. وعندما حان وقت الذهاب بالسيارة لاحظت غياب جوني. سألت أحد الشبان عنه فأجابني بأن جوني قرَّر عدم الذهاب. عندها حاولت أن أعرف لماذا قرَّر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك، هل لكثرة الدروس، أم أنه غير مرتاح لسبب ما، أم أنه يلقى معارضة من والديه؟ اتضح أخيراً أنه قرَّر عدم مرافقتنا دون أي سبب.

يومها ذهبنا بدونه، وكان عملنا مثمراً. وقد التقينا عدداً وافراً من الطلاب الذين كانوا متحمسين للتحدُّث عن الرب وعن تكريس حياتهم له، ورجعنا مملوئين من الفرح والشكر لله.

في يوم الاثنين التالي استعرت سيارة أحد الأصدقاء وذهبت لأرى جوني. وبعد أن تحدثنا قليلاً سألته إن كان قد فهم المقاييس التي اتخذها الفريق لعمله فأجاب بالإيجاب وبأنه كان سعيداً في انضمامه إلينا. فأعربت له عن سعادتي بانضمامه إلى الفريق وأسفي لقراره الأخير بألا يساهم في العمل معنا. فأصيب بصدمة وسألني ماذا أعني بذلك. وهنا شرحت له أن أهم مبادئنا في الخدمة هو أن يكون كلٌّ منا مستعداً وحاضراً عندما يتقرَّر القيام بخدمة مشتركة. هنا بدأ يبكي، وبعد برهة هدأ وترك السيارة وعاد إلى غرفته.

صلَّيت من أجل جوني يومياً لمدة أسبوعين. وبعد ذلك وصلتني منه رسالة يشكرني فيها على اهتمامي بالإيضاح له عن معنى انضمامه للفريق، ثم ذكر ١٣ سبباً لوجوب اعتباره عضواً عاملاً. فاتصلت به في الحال هاتفياً وأبديت له فرحي الشديد بعودته. إنه الآن يُعتبر أكثر الأخوة إنتاجاً، وقد خدم الرب في قارتين منذ ذلك الحين. وكانت المشكلة في البدء أنه لم يكن لديه أية فكرة عمَّا كنت أعنيه بمقاييس الالتزام والإخلاص القلبي. لا يكفي أن نشعر بالأسى والأسف عند مواجهة وضع خاطئ، بل علينا أن نعمل بمحبة وعطف واهتمام.

عندما قال يسوع "إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني" فقد كان يعني ذلك فعلاً. وإني عندما أنظر إلى العشرين سنة الماضية أرى أنه كان عليّ أن أعالج الأمور بشكل مختلف. كان عليّ أن أظهر حنوّ المسيح ولطفه، ولكن المبدأ يبقى ثابتاً لا يتغيَّر.

كان مدرِّبي في معسكر مشاة البحريَّة يصرّ دائماً على ضرورة تأدية أعمالنا بأعلى مستوى. ولم يفعل ذلك رغبة في إزعاجي وإتعابي ولكن لعلمه بأني سأذهب إلى جبهة القتال، وعليه أن يعوِّدني على عادات يمكن أن تنقذ حياتي. فهو إذن لم يكن يؤذيني بل كان يسدي إليّ خدمة لا تثمَّن. وعندما وصلت إلى ساحة المعركة، وأحاطت بي النيران واكتنفني الموت والدمار شعرت بعرفان الجميل نحوه، بسبب كل ما علمني إياه. إن على القائد للسبب نفسه أن يعمل بروح الإخلاص القلبي لكي يجعل أتباعه يخلصون بقلوبهم للعمل. فلو لم يُبدِ حزقيا تلك الروح، روح الإخلاص القلبي، لما تاب الشعب عن الخطيئة بتلك الطريقة البارزة. إن قيادته هي التي رسمت الطريق التي سار عليها الآخرون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كنت مرة في مدينة مينيابوليس أعمل في رفع الأثقال مع صديق اسمه بيل كول. انضم إلينا شاب آخر لفترة وجيزة. وبينما كان يغادر القاعة، كنت أرفع تسعين كيلوغراماً فوق رأسي، فالتفَتَ نحوي وقال "على مهلك". فلو كنت تمهَّلت في تلك اللحظة لكنت قضيت على نفسي. بالطبع لم يكن الشاب يعني ما قاله ولا استهدف أَذيَّتي، لكنها طريقته في قول "إلى اللقاء". ولقد فكَّرت طويلاً في تلك الجملة، فنحن نقولها كثيراً دون أن نفكر بأنها لا تنطبق على ما نودّ الإعراب عنه. إني شخصياً لا أشعر بأية رغبة في إتِّباع نصيحة كهذه إذ أني بطبعي أكثر ميلاً للحركة. ولعل طبيعتي الجامحة هي سرّ ذلك. وكلما شعرت بالتحدّي ازددت اندفاعاً إلى الأمام.

على القائد أن يأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التالية. أنه لا يبني للحاضر فقط بل للمستقبل أيضاً. فإن كان قلبه فاتراً فماذا يخبّئ له المستقبل؟ وماذا تكون حال هؤلاء الذين درّبهم؟ هل تشتعل قلوبهم حماسة من أجل الرب؟ لا أظن ذلك إذا كان قلبه هو فاتراً. فالنار هي التي تشعل النار. عندما طهّر يسوع الهيكل تذكّر تلاميذه ما ورد في أسفار العهد القديم "غيرة بيتك أكلتني" (يوحنا ٢: ١٧- انظر مزمور ١١٩: ١٣٩). في كلتا الآيتين ذكر للغيرة الآكلة المتَّقدة من أجل الرب. متى كانت آخر مرّة ذكرت فيها أحدهم بآية في الكتاب المقدس تتكلم عن الاشتعال بنار الغيرة المقدَّسة؟ أم هل أصبحت الروح الحماسيّة المشتعلة غير متناسبة مع روح العصر كالعربات التي تجرها الخيول؟ وهل أصبح منظِّمو فريق الهتاف في المباريات الرياضية هم كل ما بقي في عصرنا الحاضر ممّن يقومون بأعمالهم بحماسة وحيوية بالغة؟ إن القائد المسيحي الحقيقي مفروض فيه إبداء الحماسة والحرارة نفسيهما اللتين أبداهما المسيح.

إن الإخلاص القلبي والحماسة هما تعبير عن الحب الذي يشتعل في قلب القائد، ومن هناك ينتشر في قلوب وحياة الآخرين الذين تصيبهم عدوى تلك الروح المشتعلة. يشعر بعضهم أن على القائد أن يقلّل من حماسته قليلاً لئلا ينفر الناس. إن هذا غير صحيح، إذ لو لعب القائد لعب الرجال فإن الرجال سيأتون ليلعبوا أيضاً. إن الوصيّة العظمى لا تزال في الكتاب المقدس: "الرب إلهنا ربٌ واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك" (مرقس ١٢: ٢٩- ٣٠).

ثبات العزم: والشيء الثاني الواجب ملاحظته في حياة حزقيا هو إخلاصه. فقد باشر العمل بالإصلاح واستمرّ فيه. "هو في السنة الأولى من ملكه في الشهر الأول فتح أبواب بيت الرب ورمَّمها، وأدخل الكهنة واللاويين وجمعهم إلى الساحة الشرقية. وقال لهم اسمعوا لي أيها اللاويون، تقدَّسوا الآن وقدّسوا بيت الرب آله آبائكم وأخرجوا النجاسة من القدس" (٢ أيام ٢٩: ٣- ٥). فهو لم ينصرف عن غايته إلى الأمور التافهة والمهازل أو المعارضة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هناك ثلاثة من كتّاب الكتاب المقدس. يعطوننا أسباباً لثبات العزم. فبطرس يقول: "ولكن سيأتي كلصّ في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحلّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها" (٢ بطرس ٣: ١٠). إن كل شيء في العالم هو وقتيّ وعابر. هناك شيئان فقط يسموان فوق العالم ويبقيان إلى الأبد وهما كلمة الله ونفوس الناس. فعندما يكرّس القائد نفسه لخدمة هذين الشيئين فقد التزم بقيمٍ أبدية. إن الأشياء الدنيوية تحاول جذب اهتمامه إليها، لكنه يحدّق بعزم ثابت إلى الأشياء الأبدية.

والسبب الثاني لثبات العزم هو ما تقترحه كلمة يعقوب "أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد، لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخارٌ يظهر قليلاً ثم يضمحلّ" (يعقوب ٤: ١٤). إن الحياة قصيرة ولا يجوز أن نضيعها. وعندما يرى الإنسان هذه الحقيقة فإنها تساعده على أن يبقى على الطريق القويم، رغم محاولة العالم جذبه لتحويل نظره عن المسيح. إن كلمة الله تبيّن لنا أين يجب أن ننظر. "لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستعيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عبرانيين ١٢: ١- ٢).

والسبب الثالث لثبات العزم بيّنه بولس. "إذن يا أخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١ كورنثوس ١٥: ٥٨). فعندما نكون سائرين في الطريق الضيق المستقيم وعيوننا على المسيح نحصل على اليقين بأن عملنا ذو قيمة. ويا لها من فرحة تلك التي يشعر بها القائد عندما يرى أنه بينما يضيع كثيرون حياتهم في أعمالٍ لا قيمة لها يعرف هو أن خدماته للمسيح ذات قيمة أبدية.

إن الكتاب المقدس مملوء من الأمثال عن رجال كانوا ثابتي العزم في عملهم مع الله، ولعل موسى هو نموذج لذلك. "بالإيمان موسى لمّا كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون، مُفضِّلاً بالأحرى أن يذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتّع وقتي بالخطيّة حاسباً عار المسيح غنىً أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة" (عبرانيين ١١: ٢٤- ٢٦).

وبولس الرسول ضرب على الوتيرة ذاتها: "أيها الأخوة، أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت، ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدَّام، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (فيلبي ٣: ١٣- ١٤).

ولكن أعظم مثل هو مثل يسوع نفسه. "وحين تمَّت الأيام لارتفاعه ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم" (لوقا ٩: ٥١). وحين رأى تلاميذه ذلك تعجبوا "وكانوا في الطريق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صاعدين إلى أورشليم ويتقدَّمهم يسوع. وكانوا يتحيَّرون، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون. فأخذ الإثني عشر أيضاً وابتدأ يقول لهم عما سيحدث له" (مرقس ١٠: ٣٢). لماذا تحيَّروا؟ لقد كان يسوع يعرف بالتمام ما كان سيواجهه ومع ذلك فإنه كان يسير إلى الأمام بلا تردُّد وقال: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت ويسلِّمونه إلى الأمم" (مرقس ١٠: ٣٣).

لقد رأى الإثنا عشر في ملامح وجه يسوع شيئاً جعلهم يتحيَّرون ويقلقون. كانوا يخافون ما تخبّئه لهم الأيام المقبلة، وقد حيَّرتهم شجاعة قائدهم. فقد كان يسوع المسيح يسير بخطوات متَّزنة وعزم نحو الصليب. إنه كان يعرف مهمته ويتقدَّم بعزم نحو إتمامها. وعلينا نحن أن نعمل على هذا النحو. العالم يضايقنا لكي نقع في هذا الشرك أو تحت ذلك الحمل. ولكن كلمة الله تدعونا لكي نتجرَّد من كل شيء ونطرح عنا كل حمل ونجدّ في السير نحو الهدف. ثبات العزم ليس سهلاً ولكنه ضروري.

عاش دوسون تروتمان مؤسس حركة "الملاّحين" حياة تضحية ومات كذلك، وعندما مات ابنه الواعظ بيلي غراهم فقال وهو يشير إلى ثبات عزم تروتمان:

هنا رجل لم يقل "أمامي أربعون مهمة أحاول أن أُتمّمها" بل قال كما قال بولس: "أفعل شيئاً واحداً... أسعى نحو الغرض".

يمكن للإنسان أن يضيع حياته بإحدى هذه الطرق الثلاث. الأولى هي بالاسترخاء والكسل وعدم القيام بأي عمل. ولكم رأيت شباناً يعملون ذلك، فيشترون قيثارة ويلبسون سراويل قصيرة، ثم يذهبون إلى شواطئ كاليفورنيا المشمسة، حيث يقضون أوقاتهم منطرحين على الرمال الساخنة. والطريقة الثانية لإضاعة الحياة هي أن تتخذ لنفسك هدفاً وتعمل جادّاً لبلوغه ثم تكتشف آخر الأمر أنك أخطأت في اختيار الهدف. ولقد عرفت كثيرين ممن أصابهم ذلك وقد رووا قصَّتهم بأسفٍ مرير ودموع.

أما الطريقة الثالثة فهي ما كان يتكلم عنه الدكتور غراهم، أي الارتباك في مجموعة من المهامّ ومحاولة إتمامها دون إنجاز أيّ منها تماماً.

لقد حذَّر الله يشوع من الارتباك والتردُّد إذ قال له: "كن متشدّداً وتشجّع جداً لكي تتحفَّظ للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي. لا تمِل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تفلح حيثما تذهب" (يشوع ١: ٧). لم يكن هذا تحذيراً من السير في الطريق بل من الترجُّح بين ناحية وأخرى في الطريق الصائب.

ولكم راقبت أناساً يعملون هذا. فحيناً يبدؤون في الاتجاه الصحيح، ولكن شيئاً ما يحدث، فيعرقل سيرهم وإذ بهم يميلون عن طريق الصواب. ثم يرون خطأ ذلك فيعودون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى الطريق الصحيح لكنهم لا يلبثون أن يميلوا إلى هذا الجانب أو ذاك. إنه من المفجع حقاً أن يرى المرء أناساً طيّبي القلوب يدورون في الحياة حول أنفسهم. لماذا؟ لسهولة تحوّلهم عن عزمهم؟ ليس لديهم ثبات عزم والإصرار على المواصلة نحو الهدف الذي كان في موسى أو بولس أو يسوع.

قد يتذّمر البعض ويقولون "هذا الأمر صعب". إنه صعب فعلاً. قال بولس الرسول "أسعى نحو الغرض" إنه سعيٌ وسيرٌ حثيث نحو الهدف الواحد بعزم ثابت. ليس في الأمر سهولة العوم أو التزلُّج. وفي قول بولس "أسعى نحو الغرض" دليل على وجود صعوبات في الطريق. فإن العالم يحاول إغراءك والشيطان يحاربك، لكن نظرك المتواصل إلى يسوع يتيح لك القوة لمواصلة السعي وبلوغ الهدف.

إن شهادة بولس تبيّن ذلك بوضوح "ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أُتمّم بفرحٍ سعيي والخدمة التي أَخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله" (أعمال ٢٠: ٢٤). إنه يقول "سعيي" إن أعظم فرح في الحياة هو أن تعرف بأنك تسعى كما يريد الرب وفي الطريق الذي اختاره لك.

إن لكل منا طريقاً يسلكه ومهمّة يتمِّمها وهدفاً يسعى إليه. "قولوا لأرخبُّس انظر إلى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتمِّمها" (كولوسي ٤: ١٧).

أتذكَّر حدثاً مصيرياً في حياتي. لقد اختبرت أنا وزوجتي الإيمان من خلال قراءة الكتاب المقدس. ولم يكن حولنا كثير من الذين يمكن أن يقدِّموا لنا النصح الروحي، ومع هذا فقد قرَّرنا أن نسير مع الله بعزم ولغرض واحد. وأخبرنا صديق لنا من هارلان، أيوا، هو القس آرلان هالرسون عن مدرسة للكتاب المقدس في مدينة مينيا بوليس، حيث نستطيع أن نتعلَّم كلمة الله. كنا يومها جديدين في الإيمان ولدينا رغبة في النمو، لذا قررنا الذهاب إلى تلك المدرسة وتكريس حياتنا كلها لخدمة المسيح. وكنت في ذلك الوقت ناجحاً في عملي، وعندما بدأت أُخبر زملائي في العمل كما كنت أنوي القيام به لم ألقَ منهم إلا المعارضة والانتقاد. لقد حسب بعضهم تصميمي غباوة أو تطرُّفاً. إن من الجنون في رأيهم أن يترك المرء عملاً يدرُّ عليه دخلاً ويؤمّن له العيش. أما نحن فكنا نعرف ما يجب أن نفعل.

لقد تركت عملي وأعددت ما يلزم لمغادرة مدينة كونسل بلوفز إلى كليّة نورث وسترن. بعنا بعض ممتلكاتنا ووزَّعنا أكثر ما بقي منها وأصبحنا أحراراً في الذهاب. وضعنا بعض ملابسنا وحاجياتنا على عربة أطفال واتجهنا نحو المحطة. كانت فرجينيا زوجتي تجرّ العربة وأنا أدفعها من الخلف في طريق مغامرتنا. ولقد قرَّرنا أل ننظر قط إلى الخلف، بل ولا نلتفت يميناً أو شمالاً بل نُبقي عيوننا متَّجهة نحو يسوع فنتبعه أينما وجَّهنا.

 All rights reserved © 2008-2018

وها قد مرَّ خمسة وعشرون عاماً منذ ذلك الوقت فواجهنا خلالها معارضة وتجارب، إنما لا يزال يسوع يسير معنا ويُرينا الطريق.

يبحث الرب هذه الأيام عن أناس لا يهتمون قط بالمديح الفارغ واللذات الدنيوية في الحياة. إنه يبحث عن رجال ونساء يهتمون فقط بحاجة العالم للمسيح، ويتحمَّسون لإتِّباعه ولهم عزم وهدف. إن شهادة بولس مشجّع لنا، وقد كتب إلى تيموثاوس يقول: "فإني أنا الآن أُسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (٢ تيموثاوس ٤: ٦- ٨).

الروح المناضلة: بالإضافة إلى الإخلاص القلبي وثبات العزم عمل الملك حزقيا بروح مناضلة. لقد واجه صعوبات كثيرة لكنه جاهد متقدّماً بإيمان وحماسة بالغين. أرسل سعاة إلى المناطق فواجههم البعض بالسخرية. "فكان السعاة يعبرون من مدينة إلى مدينة في أرض افرايم ومنسَّى حتى زبولون، فكانوا يضحكون عليهم ويهزؤون بهم" (٢ أيام ٣٠: ١٠). لكن هذا لم يؤخّر العمل. "هكذا عمل حزقيا في كل يهوذا، وعمل ما هو صالحٌ ومستقيمٌ وحق أمام الرب إلهه" (٢ أيام ٣١: ٢٠).

هذه هي القاعدة الأساسية التي نراها في حياة القادة المذكورين في الكتاب المقدس. إليكم شهادة بولس: "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلاّ واحدة، ثلاث مرات ضربت بالعصي، مرة رُجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهاراً قضيّت في العمق، بأسفار مراراً كثيرة، بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار من جنسي، بأخطار من الأمم، بأخطار من المدينة بأخطار في البرية، بأخطار في البحر، بأخطار من أخوة كذبة، في تعب وكدّ، في أسهار مراراً كثيرة، في جوع وعطش، في أصوام مراراً كثيرة، في بردٍ وعري، عدا ما هو دون ذلك. التراكم عليّ كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس" (٢ كورنثوس ١١: ٢٤- ٢٨).

ماذا كان موقف بولس وسط كل هذه الصعوبات؟ "لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألَّموا لأجله" (فيلبي ١: ٢٩).

لقد واجه نحميا معارضة مستمرَّة من أعدائه. "ولما سمع سنبلَّط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رمِّمت والثُغر ابتدأت تُسدّ غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً" (نحميا ٤: ٧- ٨). ولقد بدَت روح النضال في ردِّه "فصلَّينا إلى إلهنا، وأقمنا حرَّاساً ضدَّهم نهاراً وليلاً بسببهم" (نحميا ٤: ٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومرة أخرى جهَّزت المعارضة هجوماً لكي يمنعوا نحميا من إتمام غايته، وفي كل مرة كان هو يفوز. "أرسل سنبلَّط وجشم إليّ قائلين: هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة أونو، وكانا يفكران أن يعملا بي شرّاً. فأرسلت إليهما رسلاً قائلاً أني أنا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر أن أنزل، لماذا يبطل العمل بينما أتركه وأنزل إليكما؟ وأرسلا إليّ بمثل هذا الكلام أربع مرّات وجاوبتهما بمثل هذا الجواب" (نحميا ٦: ٢- ٤).

يستخدم بولس الرسول كأمثلة مجازية حياة الجندي والرياضي والزارع. "فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح. ليس أحد وهو يتجنَّد يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنَّده. وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يكلّل إن لم يجاهد قانونياً. يجب أن الحرَّاث الذي يتعب يشترك هو أولاً في الإثمار" (٢ تيموثاوس ٢: ٣- ٦).

إن علامة الجندي الصالح هي أنه يربك العدو. إن أعداء إيمان المسيح كانوا يتضايقون من وجود بولس. وفي أفسس اعتقد ديمتريوس، صانع هياكل الفضة، أن صناعته ستتدمّر بسبب تعليم بولس (انظر أعمال ١٩: ٢٣- ٢٨). لقي بولس معارضة من قادة الديانات الزائفة ومن شياطين جهنّم لكنه لم يرهب أحداً. لقد برهن بولس أنه الجندي الصالح.

يتبارى الرياضي عادة مع منافسين، لكن صراعه الأول يكون مع نفسه. فعليه أن يتغلّب على شكوكه ومخاوفه وكسله، والرغبة في القعود والراحة. يخبر بولس الرسول عن معارك في حياته نفسها: "وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى وأما نحن فإكليلاً لا يفنى. إذن أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين. هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء، بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١ كورنثوس ٩: ٢٥- ٢٧). يواجه القائد باستمرار شتى أنواع المشاكل والصعوبات من الآخرين، لكن صراعاته الرئيسة تكون في الغالب مع نفسه.

والزارع يواجه في عمله قلة المطر حيناً والسيول الجارفة حيناً آخر، وتصاب زراعته بالأمراض من كل نوع. وإني لأذكر كيف أن إحدى مزارعنا في أيوا ضربتها عاصفة برد عاتية قبل عدة سنين، وكان طول نبتات الذرة في الحقل حوالي ستة أقدام، ولكن من يرى الحقل بعد العاصفة يصعب عليه أن يصدّق أن ذاك كان حقل ذرة. كانت تلك العاصفة بالغة الشدة حتى أنها هدمت جرسيّة الكنيسة وحطّمت عدة نوافذ. وعندما سمعت إحدى شركات البذور في مدينة شينادووا عن نكبتنا أرسلت بعض المساعدات. لقد جاءت منها شاحنة محمّلة بحبوب الصويا، وقالوا لنا أننا لو زرعناها فلربما نحصل على مؤونة لإطعام ماشيتنا في فصل الشتاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولم نكن نعرف في ذلك الحين شيئاً عن حبوب الصويا. إنما كنا نعرف أن موسم زراعة الذرة قد فات أوانه. ولذا قمنا بمحاولة على أمل الحصول ولو على غذاء للماشية.

كانت صدمة أخي شديدة باعتباره المسؤول عن المزرعة، لكنني لا أزال أذكر كيف شمَّر عن ساعديه وبدأ يجاهد. ما كان أسهل أن يقطع أخي الأمل ويجلس يندب سوء حظّه. إن أخي لم يفعل ذلك قط بل أظهر روح النضال الصحيح.

بعد أن ذهب والدرون وجوان سكوت وعائلتهما إلى الشرق الأوسط في أواخر الخمسينات ليخدموا المسيح ساءت الأمور معهم من كل ناحية. عن حالتهم المالية لم تسمح لهم بابتياع الأثاث اللازم. ولذا قامت الأخت جوان بعمل كيس قماش لتغطية حقيبة السفر واستعمالها كمقعد. وانفجر يوماً إناء غلي الماء فأصابها بعدة حروق. وخلال سلسلة من الأحداث أُدخل والدرون السجن وغرقوا في متاعب كثيرة، إلا أن روح النضال لم تفارق هذين العزيزين فإن ثقتهما بوعود الله قد ساعدتهما على الاستمرار في الجهاد. والآن يوجد في أنحاء الشرق الأوسط رجال ونساء ممن مسَّت حياتهم روح إنجيل المسيح التي وصلتهم بواسطة المرسلين والدرون وجوان سكوت. إن أولئك المسيحيين الأقوياء والجنود المخلصين للإيمان قد رأوا في والدرون المثل الصحيح للجندي الحقيقي للمسيح وهكذا تحوَّلت الظروف الصعبة لمصلحة ملكوت الله.

إن هذا ما تميّز به خدام المسيح في كنيسة العهد الجديد. لقد كان لديهم روح النضال الذي يتميّز به المحاربون المكرّسون لله. لقد كانوا كما جاء عن بولس وبرنابا أنهما كانا "رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح" (أعمال ١٥: ٢٦).

هل بهذا يتصف القائمون على العمل المسيحي اليوم؟ في بعض الحالات نجد الجواب نعم، لكن كثيراً ما نعتبر حسنات الإنسان قدرته الفكرية وثقافته العالية. لقد سمعت مرة مديح رجل لكونه يملك مكتبة فيها عشرة آلاف مجلّد. من الواضح أنه ليس من الخطأ امتلاك أو قراءة كتب عديدة فمن واجبنا أن نعرف الله ونحبّه من كل فكرنا. ولكن على القائد ألا يقف عند هذا فالمطلوب ليس ذهناً متوقداً بل روح نضال تجعله يستمر في التقدم عندما ينهار كل شيء حوله.

في بدء حياة المسيحية عرف هذا الرسول ما كان سيتحمله من آلام. "فقال له الرب اذهب، لأن هذا إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأن سأريه كم ينبغي أن يتألّم من أجل اسمي" (أعمال ٩: ١٥- ١٦). لقد عرف بولس المكافأة التي سيحصل عليها، لكنه عرف أيضاً كم ستكلّف. كان يعلم قيمة التتلمذ للمسيح، وقد قال فيما بعد "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم... في ما بعد لا يجلب أحدٌ عليّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرب يسوع" (غلاطية ٦: ١٤- ١٧). وعندما أراد الرسول أن يُسكت أولئك الذين حاولوا الطعن في رسوليّته أراهم آثار الاضطهاد في جسده. فقد كان المسيحيون الأولون يواجهون المخاطر والجلد والأسود. لقد كانوا أبطالاً بكل معنى الكلمة. أما نحن فنعيش في عصر الرفاهية، عصر الطيران والتلفزيون والنايلون. ليت الله يهبنا القوة ذاتها والإيمان اللذين تحلّى بهما وأظهرهما رجال الله في الماضي.

إذن، هذه هي الأشياء الثلاثة اللازمة في القائد لكي يُجري تأثيراً. إن علينا أن نكون ذوي قلوب مخلصة وعزم ثابت وأن يكون لنا روح النضال. قد تستمر البرامج الدينية دون هذا كلِّه، ولكن القائد الذي يريد أن يستخدمه الله فتثمر حياته ثمراً دائماً يحتاج أن يعمل لتكون فيه هذه الصفات الثلاث.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع

إعداد العدّة للنجاح

خطط لبداية حسنة:

البداية صعبة. أنت الآن جديدٌ في العمل. والناس حولك ينظرون إليك ليروا كيف تتصرَّف. وقد تشعر بأنك مرتبك وقلق. قد يحاول بعض الناس في موقف كهذا تغطية شعورهم بالعجز عن طريق التظاهر بالقوة. وهذا غالباً ما ينفِّر الناس ويجعلك بعد ذلك تقضي شهوراً وأنت تحاول الخروج من الورطة.

يقول لورن ساني رئيس جماعة "الملاّحين"، أنه تعلّم درساً عندما كان يدير خدمة المركز في كاليفورنيا. بدأ العمل بالوقوف أمام المركز وتوزيع بطاقات الدعوة على المارة ودعوتهم للدخول، وكان أكثرهم يواصل السير دون اكتراث. بعد مدة خطرت له خاطرة. صار يتقدم إلى آخر الشارع ثم يعود سائراً بجوار أحد المارَّة متحدثاً إليه. ثم عندما يصل أمام مدخل المركز كان يدعو الشخص للدخول لتناول القهوة ومواصلة الحديث. وكانت هذه الطريقة ناجحة إذ كان يدخل المركز كثير من المارة.

إن هذا ما يحدث فعلاً عندما نبدأ عملاً جديداً. إذ يجب ألا نستوقف الناس ونحاول جعلهم يغيّرون اتجاههم، بل من الأفضل مسايرتهم قليلاً بخطى متوازية على الطريقة التي يسلكونها. ونستطيع بعد إجراء حديث بسيط معهم أن نقترح تغيير الطريق. بهذا نحظى بفرص أوفر لإيصال رسالتنا والحصول على تجاوب إيجابي.

نجد في الكتاب المقدس إرشاداً في هذا الموضوع بطريقة غريبة. فإن الملك شاول لم يشتهر كمثال للقيادة الروحية، وطالما ذكر الوعاظ من فوق منابرهم والمؤلفون على صفحات كتبهم الفشل والتقصير اللذين عُرف بهما شاول. لكننا لا نستطيع تجاهل البداية الحسنة التي بدأ بها هذا الملك والحكمة التي تحلّى بها. فإن في هذا درساً هاماً لنا.

كان صموئيل قد دعا الشعب للاجتماع في المصفاة وهناك تقرَّر اختيار شاول من سبط بنيامين "ففتَّشوا عليه فلم يوجد، فسألوا أيضاً من الرب: هل يأتي الرجل أيضاً إلى هنا؟ فقال الرب: هوذا قد اختبأ بين الأمتعة". (١ صموئيل ١٠: ٢١- ٢٢). من الواضح أن شاول لم يكن يطمح في أي مركز ولا كان يرغب في الظهور بل كان يُظهر روحاً متواضعةً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حتى بعدما أصبح شاول ملكاً في نظر كل الشعب نراه يعود بهدوء إلى بيته. وقد أظهر صبراً وسيطرة على نفسه عندما هزأ به بعضهم "وأما بنو بليعال فقالوا كيف يخلّصنا هذا، فاحتقروه ولم يقدِّموا له هديّة" (١ صموئيل ١٠: ٢٧).

وصار بعد ذلك ظرفٌ يحتاج إلى خطوة جريئة. كان العمونيون يريدون تقوير كل عين يمنى لأهل يابيش جلعاد وجعلهم عبيداً لهم وإلا هاجموهم وأخضعوهم في الحرب. وكان القبول بذلك يجعل رجال يابيش يفقدون القدرة على حماية أنفسهم. لأن من فقد عينه اليمنى لا يقدر أن يحارب إذ يكون الترس في يده اليسرى يحجب عن عينه اليسرى الرؤية. وعليه فإن خسارة العين اليمنى تجعله معاقاً في المعركة. قد يبقى صالحاً لرعي الأغنام أو زراعة الأرض ولكن مقدرته على الحرب وحماية نفسه تصبح شبه مفقودة.

وخلال ذلك عاد شاول من الحقل وكان يرعى خرافه. أنا أجد في ذلك ما يملأ مجلداً من المعاني. فهنا رجل قد انتُخِبَ ونُصِّبَ ملكاً على إسرائيل، ومع ذلك لم يحاول أن يتخلّص من المسؤولية بل عاد إلى أغنامه. ولابد أنه كان ينتظر حالة يمكنه من خلالها أن يقدِّم لشعبه مساعدة فعّالة. كان ينتظر أن تحدث حادثة توازي عظمة مسؤوليته. ففي تلك الحال يقدِّر الشعب قيمة قيادته ويبتهج بإتّباعه.

وها هي ذي تهديدات العمُّونيّن تخلق الحالة. عندما سمع شاول شكوى مواطنيه، أرسل دعوة لتجميع الجيوش ومساعدة من هو في حاجة. وتقدم الشعب كرجل واحد. وفي المعركة التي تلت. شتَّت شاول شمل جيش العمونييّن.

وبعد أن تخلَّص الشعب من مضطهديهم أصبحوا مرتبطين بشاول، بل عزموا على الانتقام من الذين هزؤوا به في الماضي. لقد قالوا "من الذين يقولون هل يملك شاول علينا؟ إيتوا بالرجال فنقتلهم" (١ صموئيل ١١: ١٢).

لكن شاول أبى ذلك. "فقال شاول لا يُقتل أحد في هذا اليوم لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصاً في إسرائيل" (١ صموئيل ١١: ١٣).

يلاحظ أن شاول لم يُشِر إلى نفسه قائلاً لقد عملت هذا أو ذاك ولكنه أعطى المجد كله لله لأنه هو الذي نصرهم.

عند هذا حصل شاول على ولاء الشعب وثقته وأصبح الجميع مستعدّين لإتّباعه. لقد بدأ بداية حسنة وكانت دعوة الله له جليّة للجميع، واستطاع بأعماله وخطوته الجريئة وإيمانه أن ينقذ المتضايقين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنه لدرس عظيم لكل من دعي ليكون قائداً. لا تسرع بعمل تغييرات كثيرة ولا تستعجل إظهار من هو صاحب الأمر. فإن كان هناك تغييرات تريد إتمامها وجّه أفكار الآخرين أولاً في هذا الاتجاه.

كما أن هناك درساً آخر تعلّمته من حياة الأخ لورن ساني. فهو عادة يرى الأشياء قبل أن نراها نحن سائر "الملاّحين". ثم يبدأ بزرع البذور الفكرية بإبداء نظرة أو فكرة، أو بإلقاء سؤال يجعلنا نفكر في اتّجاه معيَّن. وعندما يحين الوقت لطرح الموضوع يكون بعضنا قد فكَّروا فيه من مدَّة طويلة حتى ليظنّوا أحياناً أنه من بنات أفكارهم.

ويمكن بالتالي إحداث تغييرات، كما يمكن تبنِّي أفكار جديدة وتعيين اتِّجاهات أجدّ. وقد يقتضي ذلك بعض الوقت. فالناس يميلون غالباً لعدم التغيير. إذن، خُذ اتجاههم وسر معهم بضع خطوات، ثم بعد ذلك حاول توجيههم ببطء نحو طرق جديدة أكثر نفعاً.

قم بالاستعداد مسبقاً:

بعد أن تنطلق ببداية حسنة هناك شيء آخر يجدر بك عمله. قم بالاستعداد مسبقاً لتصبح ملماً بكل ما يلزم. وعندما يكون لديك مشروع لتطرحه أو اقتراح جديد قم بدراسة تفاصيل الوقائع وأعرف قيمة التكاليف ومدى الوقت اللازم للتنفيذ. كن قادراً على شرح الأسباب التي تجعلك تعتقد أن الاقتراح يستحقّ الأخذَ بِهِ.

كثيراً ما يدرس القادة سفر نحميا. كان نحميا الوالي على أورشليم من قبل الفُرس وأصبح معروفاً بالمنفِّذ الناجح. لقد كان هذا الرجل يعرف جيداً كيف ينفّذ أعماله. دعونا نلقي نظرة على كيفية قيامه بالتنفيذ لنرى ما يمكننا تعلّمه في أمر الاستعداد المُسْبَق.

كان نحميا يعيش في رفاهية القصر الفارسي، حيث كان يعمل ساقياً للملك ارتحشستا. وفي أحد الأيام بلغه ما أصاب مواطنيه في أورشليم من كوارث. "فقالوا لي أن الباقين الذين بقوا من السبي هناك في البلاد هم في شرّ عظيم وعار، وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار" (نحميا ١: ٣).

لقد أثقل الله قلب نحميا بهذه الأخبار الأمر الذي جعله يجثو على ركبتيه مصلّياً (انظر نحميا ١: ٤). وواصل نحميا عمله في القصر يوماً بعد يوم لكنه ظل يحمل همَّ شعبه ومدينة أورشليم. وعندما لاحظ الملك كآبته وانشغاله سأله "لماذا وجهك مكمدّ وأنت غير مريض؟ ما هذا إلا كآبة قلب" (نحميا ٢: ٢). عندها كشف نحميا الأمر للملك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد هذا سأله الملك "ماذا أنت طالب؟" (٢: ٤) فرفع نحميا صلاة بسرعة إلى الله ثم أجاب الملك، وكان ذلك الجواب ممتازاً. والسرّ هو أن نحميا كان قد استعد مسبقاً. ولولا ذلك لكان تعثّر في إجابته، بل ربما فقد الفرصة المناسبة.

قال نحميا "إذا سرَّ الملك، وإذا أَحسن عبدك أمامك، ترسلني إلى يهوذا، إلى مدينة قبور آبائي، فأبنيها".

"فقال لي الملك، والملكة جالسة بجانبه، إلى متى يكون سفرك ومتى ترجع؟ فحسن لدى الملك وأرسلني، فعيَّنت له زماناً. وقلت للملك أن حسن عند الملك فلتُعطِ لي رسائل إلى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى أصل إلى يهوذا، ورسالة إلى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني أخشاباً لسقف أبواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي أدخل إليه. فأعطاني الملك حسب يد إلهي الصالحة عليّ" (نحميا ٢: ٥- ٨).

أرجو أن يكون قد تبيّن لكم مغزى هذا المشهد. فممَّا رأيناه سابقاً لابد من أن نحميا قضى وقتاً طويلاً يصلّي إلى الله حول هذه المشكلة. وهو لم يتوقف عند ذلك فقط بل فكّر أيضاً في ما قد يحتاجه للقيام بالعمل. ومن الواضح أنه فكَّر أن صلاته كانت ستستجاب. ولقد تبيَّن أنه كان مستعدَّاً مسبقاً عندما جاءته الاستجابة.

تصور ماذا كان سيحدث لو أنه عندما سأله الملك عن طلبه، أجاب: "أمهلني يا مولاي لبعض الوقت فإني لم أفكر في ذلك كثيراً. فقد أحتاج أن أذهب بإذنك طبعاً كي أرى ما سيلزم. على كل حال أحتاج لدراسة الأمر لبضعة أيام".

ولكن لا! فإن نحميا كان قد استعدَّ مسبقاً فعرف بالضبط وبالتفصيل ما يحتاج إليه المشروع من خطابات إلى حكام ما وراء النهر، وكتاب إلى حارس فردوس الملك، وجنود وفرسان. لقد كان حقاً مستعداً مسبقاً.

خطّط للعمل:

عندما يُعهد إليك القيام بمهمة ما يكون أول ما يجب عليك عمله هو أن تُمضي وقتاً لتكتشف بالضبط ماهية مهمتك الجديدة؟ دعني أقترح بأنها مبدئياً تنقسم إلى هدفين مختلفين ولكنهما مرتبطان. أحدهما أن تدمج من خلال العمل شيئاً يؤدي لتقدُّم قضية المسيح، والثاني هو أن تجعل كل عضو من أعضاء فريقك تصبح حياته أو حياتها متعمّقة في الرب وأن يكونوا فعلاً أعضاء مثمرين في كنيسة المسيح.

لنتناقش أولاً في كيفية بلوغ هدف تقدُّم قضية المسيح، وقد يتخذ شكل وضع الهدف لتبشير المنطقة التي توجد فيها كنيستك، وأن توصل نبذة توضح طريق الخلاص إلى كل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بيت في المدينة. ثم أن تحوِّل هذا الهدف إلى وحدات عملية، وأن تجد الأشخاص ذوي الكفاءة لملء المراكز الهامّة. أعطهم الصلاحية لاتخاذ التدابير، على أن تشرف عليهم بدورك من وقت لآخر للتأكد من استمرارهم في العمل الرئيسي.

إننا في عملنا ننفِّذ مخططاً ذا أربع خطوات وهي تخطيط- تنظيم- قيادة- تقويم. وقد يبدو لكم ذلك جامداً آلياً إلاّ إذا نظرتم إليه بترتيب واقعيّ. لنفرض مثلاً أنه أحد أيام السبت قرر أحدكم مع فريق من الأخوة القيام بعملية تنظيف مبنى الكنيسة وما حولها. هذا هدفكم، واليوم هو يوم لطيف من أيام الربيع. وهناك الكثير مما يجب عمله بعد شتاءٍ قاسٍ.

قررتم اللقاء في التاسعة صباحاً والعمل حتى الظهر. كما طُلِبَ من أعضاء الفريق إحضار أمشاط ودِلاء ومماسح و فُرَش دهان ومكانس ومنافض وغير ذلك مما يستلزمه العمل.

ثم تجتمعون وتؤدون الصلاة وتسلمون عملكم لله. ثم تقسِّمون العمل على فِرَقْ. يوسف يأخذ شخصين ويبدأ العمل في المدخل، بينما يبدأ وليد وهاني بغسل الشبابيك. وتقوم أنت مع أربعة أشخاص بتنظيف الطابق الأرضي، وإضافة الدهان حيث يلزم.

ويأتي يوسف بعد ساعة ليقول أن العمل في المدخل يسير على ما يرام من تمشيط الأرض وتهذيب الشجيرات، ويفكّر أن كان يلزم الذهاب إلى المشتل لأخذ بعض شتلات الزهور وزرعها. وتذهب لترى ما يجري ويتضح لك في الحال أنهم لو بدأوا ذلك العمل الإضافي من زرع الأزهار فلن يتمكنوا من إنجاز العمل الأساسي عند الظهر. وعليه تقترح أن يبقوا في العمل الأساسي. ثم إذا ما أتمُّوه في وقت مناسب فلا بأس، إن سمح الوقت، من زرع بعض الشتلات. وبذا يُسَرّ يوسف ويعود إلى عمل التنظيف.

كما أن هناك طرقاً أخرى قد يخطر لك أن تتصرف بموجبها مع يوسف. أحدها أن تؤنبه على تحوّله وتقول له أن عليه إطاعة الأوامر والقيام بما أُسند إليه من عمل. لكن هذا قد يؤدي إلى نتيجتين: الأولى إبعاد العمل عن قلب يوسف. والثانية تجميد كل فكرة قد تبدو له في المستقبل. حين تكونون منهمكين في البحث عن طريقة تبشير في الجوار لا يعود يجد الجرأة للتكلم خشية أن يُجابَه برفضٍ قاسٍ.

وفي الساعة ١١ تقوم بجولة لترى كيف يسير المشروع. فتلاحظ أن وليد وهاني لن يتمكّنا من غسل كل الشبابيك. وأن فريقك قد يُنهي العمل قبل الوقت المحدَّد. وعندئذ تسحب اثنين من فريقك وترسلهم لمساعدة الذين يغسلون الشبابيك. وعند الظهر تجمع الكل وتلقي نظرة على ما تم إنجازه. لقد انتهت المهمة، وجُمِعَت الأدوات ونُظِّفت. فتشتركون في صلاة

 All rights reserved © 2008-2018

قصيرة لتشكروا الرب على معونته لكم في ذلك اليوم، وتركبون سياراتكم متَّجهين نحو بيتكم.

إن أية مهمة يمكن القيام بها ضمن هذا النطاق، أي التفكير بها ووضع مخطَّط لها، ثم تنظيمها بحيث يعرف كل عضو من أفراد الفريق دوره في العمل والشخص المسؤول عنه. وعلى القائد طبعاً أن يرشد ويقدِّم نفسه قدوة بأن يشمِّر عن ساعديه ويعمل. ثم أن إعادة التقويم بشكل دوري قد تؤدي إلى تصحيح السير. وعندما ينتهي العمل يستحسن الجلوس وإعادة تقويم المشروع لرؤية أين يمكن التحسين. هذا طبعاً يؤدي إلى تخطيط أفضل في المستقبل.

والآن لنأخذ نقطتين من هذه النقاط ولننظر إليهما بانتباه أشدّ: وهما اختيار الأشخاص المتقدّمين، وانخراطك معهم كقائد.

أولاً، الاختيار. إن أحسن عامل دهان ليس دائماً أحسن رئيس فريق. إن على من يرأس المشروع أن يكون مُلمَّاً بعمل الدهان. ولكن ذلك بالإضافة إلى كونه قادراً على أن يبث في الفريق نشاطاً وروح مشاركة عالية.

قبل أن يختار يسوع رسله الإثني عشر "قضى الليل كله في الصلاة" (لوقا ٦: ١٢-١٣). قال بولس الرسول لتيموثاوس "وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلِّموا آخرين أيضاً" (٢ تيموثاوس ٢: ٢). يجب إذن البحث عن أناس أمناء لهم القدرة على التعليم.

هناك شيء آخر يجب ملاحظته. عندما يبدأ المؤمن بذكر عمل فريق فيقول عنه "عملنا" فمن الواضح أنه أصبح منخرطاً. إذ عندما ينضم شخص جديد إلى فريق يكون مجرَّد "متفرِّج" بعض الوقت. يتطلَّع ويشاهد، لكنه بعد ذلك يبدأ في الإشتراك جزئياً. وهنا يصبح هدف القائد تحويله من متفرِّج إلى مساهم، إلى منخرط في الفريق، وعلى القائد أن يبحث من ضمن هذا الفريق عن أفراد هامّين ليرئسوا المشاريع.

تأكد من أهلية الشخص قبل أن تنيط به الإشراف على عمل. وأنا تعلمت من هذا درساً قاسياً. لقد وجدت أن من السهل أن تضع شخصاً في مركز قياديّ، لكن من الصعب أن تخرجه منه. قال بولس "لا تضع يداً على أحد بالعجلة" (١ تيموثاوس ٥: ٢٢)، ويقصد بوضع اليد تنصيب المرشدين، وتحذير بولس هذا مفيد جداً. وسنلقي نظرة فيما بعد على الصِّفات التي يجب أن يتَّصف بها الأشخاص المختارون ليساعدوا على إتمام العمل بواسطة الفريق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والآن في ما يختص بانخراطك في العمل الذي تشرف عليه، هل أنت مستعد للتشمير عن ساعديك والإشتراك مع بقية الفريق؟ بلا شك. إذ أن قوة المثل لا يمكن المبالغة في تقديرها. وقد قال بطرس للشيوخ الأولين في الكنيسة "ارعوا رعيَّة الله التي بينكم نظَّاراً، لا عن اضطرار بل بالإختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية" (١ بطرس ٢: ٢-٣) ونحن أيضاً ينبغي أن نكون أمثلة لهم وليس أسياداً عليهم. فلدى المسيحيين سيدٌ هو الرب وفيه الكفاية.

كن منخرطاً في العمل الذي تريد قيادة الآخرين للقيام به. أذكر أني اتفقت مرة على القيام بتعليم صف في مدرسة الأحد خلال الصيف. وصرت أحاول زيادة عدد الحضور في الصف الذي كان يتألف من حوالي عشرين شاباً من سن طلاب الجامعة. وكان هؤلاء يحضرون إلى الصف بانتظام.

وخلال الأسابيع الثلاثة الأولى شجعت بعضهم على إحضار شخص ما في الأسبوع التالي ولكن لم يحضر أحد. ولقد جعلت ذلك موضوعاً للصلاة. وفي خلال إحدى صلواتي تذكَّرت أني أنا نفسي لم أحضر طالباً جديداً للصف.

وبدأت أفكر في كيفية الإلتقاء بشبان مماثلين في السن للطلبة وإحضار أحدهم إلى الصف. وقد لاحظت في أحد أيام الأحد فريقاً من الشبان يتريّضون في حديقة بجوار الكنيسة ونبهّني الله لفكرة.

في الأحد التالي ذهبت مع زوجتي وأولادي الإثنين إلى مدرسة الأحد قبل الميعاد بنصف ساعة وتمشينا في الحديقة ذاتها ودعَونا بعض أولئك الشبان للحضور معنا إلى مدرسة الأحد. بالطبع ليس هناك ما يثير الشبهة في رجل وزوجته مع أولادهما. وعليه فقد حضر بعضهم، إذ لم يكن لديهم شيء آخر يعملونه. وعندما حان الوقت لتقديم الزوار قدمت الشبان الثلاثة أو الأربعة الذين حضروا معنا.

وتكرَّر هذا لأسبوعين. وبعدها اقترب أحد الطلاب وسألني من أين أتيت بأولئك الشبان، فأخبرته بما فعلناه قبل موعد المدرسة. فاهتم بذلك وسألني إذا كنت لا أمانع في مرافقته لي. والتقينا في الأحد التالي وتعرفنا في أنحاء الحديقة ببعض الشبان. ثم قام بعض أفراد الصف باقتباس الفكرة وبدأوا بتطبيقها.

في أواخر ذلك الصيف اختبر الإيمان بالمسيح عشرات من الشبان، وبلغ الحضور في الصف حوالي المائة والثمانين أسبوعياً. لقد تعلَّمت درساً بسيطاً. فقد كان عملي يتلخص في تعليم الصف وقيادتهم. وهذا نجده ملخَّصاً في (أمثال ٤: ١١) "أريتك طريق الحكمة، هديتك سُبُل الاستقامة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالإضافة إلى رؤية فريقك يقوم بالعمل يلزم أن يتعمق الأفراد في علاقتهم الشخصية بالرب روحياً. فإن المحكّ الحقيقي لنجاح قيادتك هو إن كان ظهر في وسط الفريق قادة جدد في طريق النمو أم لا. يجب أن يكون أحد أهدافك ظهور الخُلُق المسيحي في الناس الذين تحمل مسؤولية قيادتهم. ونظراً لعظم أهمية هذه النقطة فإننا سنبحثها بإسهاب في الفصل الحادي عشر.

ولقد كان في ما سبق بعض النصائح التي غالباً ما يتعلمها المرء- بطريقة شاقة- في كيفيَّة أن تبدأ عملك وأن تقوم به حتى النهاية وإني واثق بأنك سوف تستفيد منها خلال نموَّك في القيادة الروحيّ.

 All rights reserved © 2008-2018

الفصل الثامن

كيف تنجز المزيد؟

لدينا من العمل أكثر بكثير مما لدينا من الوقت لإنجاز ذلك العمل. إنها حقاً مشكلة يواجهها جميع الناس الذين منهم ربَّة البيت، والعامل والمدير والطالب. الكل أمام هذه المشكلة سواء هناك مشاريع تنتظر الإتمام وتجارب تنتظر الدراسة، وتقارير متأخِّرة. وتمرّ الساعات وكذلك الأيام ويقول كلٌ منا: لو كان لديّ فقط مزيدٌ من الوقت.

دعني أكشف لك عن سرّ صغير فربما يكون عاملاً في تغيير حياتك.

قم بالعمل الآن

هناك فكرة واردة في العهد القديم في سفر العدد. ماذا نجد هناك؟ نجد شخصيّة هامّة، نجد رجلاً مشغولاً. لقد أُنيطت بموسى مهمة إخراج مئات ألوف بني إسرائيل من مصر عبر رمال صحراء سيناء الحارقة، إلى فلسطين. وكانوا طغمة من المزعجين يقومون باستمرار بأعمال طائشة تجلب عليهم غضب الله، وقد أصرّوا على العصيان مراراً وتكراراً. حاول موسى دائماً تسوية الأوضاع، فقد سعى باستمرار إلى تعليم الشعب دروساً في الإيمان، والقيام بالواجب، والطاعة، والشجاعة، وطهارة الحياة. لقد كان يقوم ببرنامج تدريبي للشعب في البرية.

وكان الشعب يتذمّر باستمرار من نقص في الغذاء والماء، ومن الرتابة وعدم التنوّع في أصناف الطعام. لقد تذمَّروا على موسى شخصياً. فكانوا يقولون أنه أخرجهم من مصر عن عمد لكي يقتلهم. لقد اعترضوا على تزوُّجه فتاة كوشيّة، واعتبروا تكلّمه عن الله ليس إلا طريقة ليجعل لشخصه صيتاً عظيماً. وأصبحت المشكلة تبدو كأن لا نهاية لها. وأصبح لدى موسى من المشاكل ما يصعب حمله.

وفي ذات يوم دعاه الله وحمَّله مسؤولية جديدة لم تكن بالحسبان. "وكلَّم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً: أحصوا كل جماعة بني إسرائيل، بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه، من ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب في إسرائيل، تحسبهم أنت وهرون حسب أجنادهم" (عدد ١: ١- ٣).

لنذكر أن موسى مخلوق بشري مثلنا. ما الذي تفعله لو كنت في مكانه؟ أما أنا فأعترف أني لو كنت في مكان موسى لدهشت. "أتريد أن أحصي الشعب؟؟؟" يا لها من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مصيبية! أتدري كم من الوقت يستلزم ذلك؟ وأنا غارق لأذُنيّ في العمل! تصوّر الأعمال التي أقوم بها. مسؤوليتي عن راحة هذا الشعب المادية والمعنوية. وهذا وحده فقط يقتضي للقيام به كل النهار من الصباح إلى المساء. علاوة على أن عليّ أن أقوم بكتابة أسفار التوراة. إني رجل مشغول بأكثر مما لديّ من الوقت للعمل. والآن تطلب مني أن أقوم بإحصاء الشعب؟

يبدو هذا الردّ طبيعياً ومعقولاً. ولكن اصبر قليلاً واسمع ما أجاب به موسى. "فأخذ موسى وهرون هؤلاء الرجال الذين تعيّنوا بأسمائهم وجمعا كل الجماعة في أول الشهر الثاني فانتسبوا إلى عشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء من ابن عشرين سنة فصاعداً برؤوسهم" (عدد ١: ١٧- ١٨).

هل لاحظتم تاريخ البدء بالعمل؟ "لقد صدر الأمر في اليوم الأول من الشهر الثاني". ومتى بدأ موسى في العمل؟ "في اليوم الأول من الشهر الثاني". فما رأيكم بهذا؟ هناك سر هائل يمكن تلخيصه في ثلاث كلمات: قم بالعمل الآن. وخصوصاً إذا كان شيء آخر استجدّ أثناء قيامك بعمل آخر هام.

كنت في أوكلاند، كاليفورنيا، وذاهباً لأعظ في فورت أورد حيث ينزل فريق من الجيش. وكان القسيس قد خطَّط لي الاشتراك معهم في الإنجيل. كما كان عليَّ بعد ذلك الذهاب إلى جهة أخرى في المدينة للتحدث في حفل عشاء آندو حيث دعا بعض المسيحيين أصدقاءهم من غير المؤمنين لتناول الشطائر على أن يلي ذلك رسالة. كانت هناك صعوبة واحدة. فلكي أتمكّن من حضور الاجتماعين لم يكن وقت لتناول عشائي. وكان البرنامج ضيّقاً فعلاً. فقلت في نفسي: لا بأس، فالأمر سهل. ولكن بينما كنت أغادر المنزل جاءتني رسالة مستعجلة تطلب فيها رئاسة الجمعية أن أعبئ لهم نموذجاً يتعلّق بالموظفين. وتقول الرسالة أن الأمر هام ويجب ألا يتأخر، وكان زميلي ينتظرني وقد أدار محرك السيارة في مدخل المبنى.

فكّرت بسرعة: هل أحمل النموذج معي وأعبّئه في الغد؟ لا وقت هناك. فقد كان علينا أن نتوجه إلى هيوم لايك بقصد الزيارة وإتمام برنامج تدريب قد يدوم طول النهار.

ناديت زميلي وطلبت منه إيقاف المحرّك. ثم باشرت بتعبئة النموذج، واستغرق ذلك وقتاً، لكني أكملته وتركته كي يرسل بالبريد. ثم انطلقت بالسيارة وحضرت الاجتماع. فلو لم أعمل ذلك في الحال فلربما كنت حملت النموذج دون تعبئة عدة أيام.

إني مسؤول عن نوعين من العمل. النوع الذي أحب القيام به والنوع الذي عليَّ القيام به. وميلي بالطبع، هو البدء بالعمل الذي أحب القيام به وترك الآخر لوقت آخر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المشكلة في هذا الترتيب هي أن العمل غير المرضيّ والذي لم يتم بعد يبقى يضايقني ويذكّرني بنفسه باستمرار.

إني أستمتع حقاً بالتحدُّث إلى رجال الخدمة عن محبة الله التي أظهرها في يسوع المسيح. وإنها لنشوة يشعر بها المتكلم في "عشاء اندراوس"، عندما يشاهد الرجال يأتون بأصدقائهم إلى المسيح في فترة الشركة التي تلي العشاء. أما النموذج وتعبئته فأمرٌ غير ملذّ. كان بإمكاني تأجيل النموذج، وعندما تأتي المكالمة الهاتفية الخارجية من الرئاسة أستطيع إجابة المسؤولين بأني كنت مشغولاً جداً. إن أولئك المسؤولين في الرئاسة أناس يتفهّمون صعوبة الظروف ويسهل إقناعهم. ولكن كنت سأبقى طول الأسبوع الثاني حاملاً همّ ذلك النموذج. ففي كل مرة أفتح فيها حقيبتي لأخذ الكتاب المقدس، كان سيطلّ عليّ ذلك النموذج بنظرة العتاب. لذلك فضلّت العمل على طريقة قم بالعمل الآن. وهكذا كان وسرت بعد ذلك مرتاح الضمير.

عندما قرأنا قصة موسى وإحصائه الشعب وجدنا أنه لم يكن الرجل الذي يماطل ويتظاهر بالعمل. لقد دعاه الله "لتعبئة نموذج طويل جداً" فقام بذلك حالاً. لم يعتذر بعدم وجود وقت لديه، ولا قال أن أمامه عملاً آخر أهم، ولا اقترح تكليف شخص آخر بالعمل. لم يتردّد بل قام بالعمل في الحال.

ربما تقول: عن ذلك شيء حسن، وقد يكون مفيداً في بعض الأحيان، لكن أمامي مشكلة هي أن لدي من العمل ما يفوق طاقتي، وأنا بحاجة لمساعدة.

هذا صحيح، بل هو بالذات ما يواجهنا جميعاً من وقت لآخر. إن ناظر مدرسة الأحد بحاجة إلى معلّمين، والقسيس يحتاج إلى عاملين، والمبشر بحاجة لمعاونين يساعدون في النواحي الزمنية، والمسؤولون عن الأولاد بحاجة لسائقي سيارات، والشمامسة بحاجة للمساعدة في توزيع الطعام على المحتاجين، وسيدات لجنة العشاء السنوي للكنيسة بحاجة لمساعدة أيضاً. إن هذه مشكلة عالمية ونواجهها جميعاً بين حين وآخر.

ثق بالله ليساعدك قدر ما تحتاج

إن للمؤمن امتيازاً في أوضاع كهذه لا يخطر ببال من هو غير مؤمن. نجد هذا ممثلاً مرة أخرى في حياة رجل من رجال العهد القديم ويعتبر أكثر الناس انشغالاً في ذلك العصر. إنه هرون.

عندما تمَّ تعيينه رئيس كهنة، يمكن الافتراض أنه شعر كما كان لابد أن يشعر أيٌّ منا لو تمّ له ذلك. الشعور بالشكر والبهجة والنشوة والامتنان وعدم الجدارة بالنسبة للامتياز

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بأن يكون رئيس كهنة الشعب. "وتُقدِّم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء. وتُلبس هرون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي" (خروج ٤: ١٢- ١٣).

أتصوَّر أن أهمية المركز الذي دعي هرون وبنوه للحصول عليه بهرت أبصارهم في أول الأمر. لقد فكّر هرون بالشرف العظيم الذي أولاه إياه الله بتعيينه رئيس كهنة وتعيين أبنائه ليكهنوا معه. فقد باركه الله بركة لم ينلها غيره.

لكن ما أن بدأ بالعمل حتى صار يشعر بثقل المسؤولية. إنه عمل صعب. فالناس يجيئون إليه باستمرار ومعهم حيوانات لتقديمها ذبائح، وإن عليه ذبحها وتقطيعها إلى قطع. كان بعض تلك القطع يُحرق على المذبح والبعض الآخر يحفظ والآخر يُدفن. وكان على هرون كذلك تنظيف المكان بعد القيام بكل تلك الأعمال. لقد كان عمله وعمل بنيه شاقاً. وكان يفكّر، ولا شك، أنه في حاجة لمساعدة.

لابدّ من أن هذا التفكير لازَمَ هرون وقتاً طويلاً. وربما تزايد تفكيره بعد موت ولديه الكبيرين، ناداب وأبيهو، أمام الرب، عندما قدّما ناراً غريبة. لم يبقَ له غير ولديه الصغيرين ألعازار وإيثامار. إن مسؤولياته التي كانت تبدو هائلة ضخمة في الماضي صارت تبدو الآن جبلاً عالياً. كيف يستطيع القيام بكل مسؤوليات عمله العظيم؟

جاء في العهد الجديد، "فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع" (فيلبي ٤: ١٩). كان هرون في حاجة لمن يساعده. وأنا متأكد من أنه لم تكن لديه أية فكرة عن كيفية الحصول عليها. ولكن الله كان يعرف. فقد كان لديه تخطيط لكل شيء. كان لديه اثنان وعشرون ألفاً من اللاويين ينتظرون في الخارج وعلى استعداد للعمل.

"وكلّم الرب موسى قائلاً: قَدِّم سبط لاوي وأوقفهم قدام هرون الكاهن وليخدموه" (عدد ٣: ٥-٦).

والآن، بالإضافة إلى ولدَي هرون الصغيرين أصبح لديه اثنان وعشرون ألف رجل بين الثلاثين والخمسين من العمر لكي يساعدوه. أفليس هذا من عمل الله؟ عندما تكون حاجة يواجهها الله ويسدّها، وبقوة!

وتحكي لنا آيات عديدة من الكتاب عن العلاقة التي أراد الله أن تربط هرون بأولئك الرجال. ولدينا من تلك الآيات اثنتان تحتويان على دروس جوهرية حيث يُعطى لنا أناسٌ كي يساعدونا في واجباتنا المعطاة لنا من الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٨: ١١،١٩: "ويردِّد هرون اللاويين ترديداً أمام الرب من عند بني إسرائيل فيكونون ليخدموا خدمة الرب... ووهبتُ اللاويين هبة لهرون وبنيه من بين بني إسرائيل ليخدموا خدمة بني إسرائيل في خيمة الاجتماع".

إن العبارات التي تقول "ويردِّد هرون اللاويين ترديداً أمام الرب" "ووهبتُ اللاويين هبة لهرون" تعلِّمنا حقيقة هامة. فهنا يُقدِّم هرون اللاويين إلى الله. وبعدها يهبهم الله لهرون. إن هذا ما يجري، ليس فقط لمساعدينا الذين يساعدوننا على القيام بواجباتنا، بل أيضاً للذين يساعدوننا في تدبير بيوتنا وأعمالنا وأولادنا وحياتنا.

عدد ١٨: ٦ "هأنذا قد أخذت أخوتكم اللاويين من بين بني إسرائيل عطية لكم مُعْطَيْن للرب ليخدموا خدمة خيمة الاجتماع".

فهل ترون الحقيقة المبيَّنة في تلك الكلمات "عطية لكم مُعْطَين للرب". كان أولئك المساعدون هبة من الله لأجل الله. ليس لكم بل للرب. إذا وجد أنه من المناسب استخدامهم في وظيفة أخرى أو عمل آخر فافرحوا، فأنتم لن تسبقوا الله في العطاء. ولاحظوا أيضاً أن الذين يساعدونكم في أعمالكم هم هبة من الله.

الدرس إذن في كل هذا هو الإيمان. ثِقُوا بالله فإنه قد وعد بأن يساعد، وهو سوف يفعل. ولكن، كما في كل ناحية من نواحي الحياة، يجب أن يكون لديك الإيمان وأن تمارسه عملياً. ثق بالله وهو سيقدّم لك النوع اللازم من المساعدة.

بالنسبة لهرون قدَّم الله له الرجال من سن الثلاثين حتى الخمسين، وهذا يعني رجالاً عاقلين متّزنين. وعندما دعي موسى ليحصي الشعب كان المطلوب إحصاء الذين هم "من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب. وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يُعَدّوا بينهم" (عدد ١: ٤٥، ٤٧). كان اللاويون مدعوين لخوض غمار حرب روحية.

وهنا نتساءل: لماذا دعي اللاويون من سن الثلاثين حتى الخمسين بينما كان الجنود يدعون للخدمة في سن العشرين؟ لاحظوا في العهد الجديد أن المواصفات لخدام الكنيسة تتضمن "غير حديث الإيمان لئلا يتصلَّف فيسقط في دينونة إبليس" (١ تيموثاوس ٣: ٦) وأيضاً "وإنما هؤلاء أيضاً ليختبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم" (١ تيموثاوس ٣: ١٠) فالأشخاص المناط بهم حمل مسؤولية عمل الله ينبغي ألا يكونوا حديثي العهد. ويجب أولاً اختبارهم.

وبالمناسبة فإن "اللاويين" كانوا يتركون الخدمة في الخمسين من العمر حتى لا يصابوا بإرهاق. وقد أعطى الله لهرون رجالاً مجربين لديهم الحيوية والنشاط اللازمان لكي يساعدوه في عمله والنضال الروحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فكّر بالأهداف لا بالموانع

هل تريد إنجاز المزيد؟ اجعل قاعدتك الأولى: "اعمل في الحال". أما القاعدة الثانية فهي أن تثق بالله لكي يزوِّدك بالمساعدة التي تحتاج إليها. وهناك قاعدة ثالثة تتعلق بتركيز انتباهك على تحديد ما ترغب فيه- وبطريقة ما يبدو أننا كثيراً ما نفكر بشكل سلبي. إذ من السهل أن نركز انتباهنا على المشاكل المرتبطة بالواجب- وغالباً ما يتوقع بعض الناس، حدوث الأسوأ فمثلاً يتسلّم رجل وزوجته برقية في وقت متأخر من الليل:

"افتحيها لنرى ما فيها".

"لا. افتحها أنت".

وكلاهما يخشى أنها تتضمّن أخباراً سيئة، ويرنّ الهاتف ليلاً، فما هو أول ما يخطر ببالك؟ خاطر تشاؤم أم تفاؤل؟

إن الموقف السلبي التشاؤمي قد يظل يلقي بظلّه علينا ونحن نقوم بعملنا، فننشغل بالمشاكل بدل أن ننشغل بالأهداف. نظلّ ننظر إلى الصعوبات وكل همنا في التفاصيل، وكيف سنتمكّن من القيام بهذا العمل أو ذاك.

وقع موسى في هذا الفخ. كان طعام الشعب المن وحده، وبدأوا يتذمّرون لأنهم لم يأكلوا لحماً. "واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة فعاد بنو إسرائيل أيضاً، وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن" (عدد ١١: ٤- ٦).

بدأ موسى أيضاً يتشكى إلى الرب من ثقل عمله مع الشعب. "فقال موسى للرب لماذا أسأت إلى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليّ؟..... لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيلٌ عليّ" (عدد ١١: ١١ و١٤).

وكان أول ما عمله الله أنه وفر لموسى مساعدة. "فقال الرب لموسى اجمع إليّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه.... وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك" (عدد ١١: ١٦- ١٧).

عندئذ وعد الرب أن يعطي الشعب لحماً ليأكلوا، لوناً جديداً من الطعام، وسيعطيهم إياه بوفرة. (انظر عدد ١١: ١٨- ٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لم يكن موسى يتصوَّر كيف يتم ذلك. إذ من أين يأتي الله بلحم يكفي لإطعام كل ذلك الشعب؟ "فقال موسى: ستمئة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه. وأنت قلت أعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً من الزمان. أَيُذبح لهم غنمٌ وبقرٌ ليكفيهم، أم يُجمع لهم كلّ سمك البحر ليكفيهم؟" (عدد ١١: ٢١- ٢٢). وهكذا أشغل موسى نفسه بالتفاصيل. كان همُّه الوسيلة التي بها يعمل الله العمل. نجد هنا أن الله أعطى وعداً وباللغة العبريّة الواضحة. كان ذلك وعداً من خالق الكون. ولم يصدّق موسى إمكان ذلك. لماذا؟ هل لأنه في الحقيقة لم يكن يعرف الله؟ كلاّ. فهو قد تكلم مع الله وعرف مقدرته. لكن مشكلة موسى كانت مثل مشكلتنا نحن الآن، وهي التفاصيل والوسيلة، وكيف سيفعل الله ذلك؟

كان لله في ذلك وسيلته الخاصة. "فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب؟ الآن ترى أيوافيك كلامي أم لا. فخرجت ريح من قِبَل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلّة مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك حوالي المحلّة ونحو ذراعين فوق وجه الأرض" (عدد ١١: ٢٣- ٣١).

ونجد مثلاً آخر على شك الإنسان في قدرة الله ما قاله التلاميذ عندما أظهر يسوع اهتماماً بالجمع الجائع الذي كان يتبعه. "في تلك الأيام، إذ كان الجمع كثيراً جداً ولم يكن لهم ما يأكلون، دعا يسوع تلاميذه وقال لهم: إني أشفق على الجمع لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون. فأجابه تلاميذه: من أين يستطيع أحدٌ أن يُشبع هؤلاء خبزاً هنا في البرية" (مرقس ٨: ١- ٢، ٤). لكن يسوع استطاع ذلك، فقد أطعمهم فشبعوا من سبعة أرغفة وقليل من صغار السمك.

وعلى سبيل المفارقة لننظر في أمر أولئك النسوة اللواتي رغبنَ في تحنيط جسد يسوع المصلوب. "وباكراً جداً في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس وكنَّ يقُلن فيما بينهنَّ: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلعن ورأين أن الحجر قد دُحرج، لأنه كان عظيماً جداً" (مرقس ١٦: ٢- ٤).

لم يكن تفكيرهنَّ في الحجر ولكن في الهدف. لقد أفقنَ مع الرغبة في عمل شيء لأجل الرب، ولم يخشين الموانع. فوجود الحجر أو الحرس على القبر لم يمنعهنَّ من تحقيق عزمهنَّ. ولقد تلاشت أمامهنَّ المصاعب عندما صممن على التقدم بثقة وإيمان واضعات نصب أعينهنَّ الهدف.

إني أتصور أن معظمنا قد يصل إلى منتصف الطريق، ثم يتبيّن له عدم جدوى الفكرة فيعود إلى فراشه الدافئ لينام بضع ساعات براحة وهدوء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم انظروا إلى أولئك الرجال الإثني عشر الذي أرسلهم موسى ليكتشفوا أوضاع أرض الموعد. فالتقارير التي عادوا بها تثبت كونهم متحرّين مقتدرين. لقد اجتهدوا في القيام بواجبهم. إنما المهمّ هو ملاحظة اختلاف نتائج تقاربهم. فإن عشرة منهم لاحظوا الصعوبات، أما الاثنان الباقيان فلاحظا الفرص السانحة.

وكان التقرير كالآتي: "قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً أنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتزّ والمدن حصينة عظيمة جداً" (عدد ١٣: ٢٧- ٢٨).

وقال الاثنان معلّقين: "نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها" (عدد ١٣: ٣).

أما العشرة فقالوا "لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا" (عدد ١٣: ٣١).

كان الشعب في تلك الأرض شديداً وذلك باعتراف الجميع. وبالطبع لن تكون المسألة مثل نزهة في الريف لمدرسة الأحد. لقد كان سكان الأرض أشداء منحطّي الأخلاق. لم يكن شعوب كنعان متوحّشين بل ذوي رقيّ متحضرّين، ولكنهم كانوا منغمسين في الرذائل حتى قال عنهم أحد المؤرخين: "كانت إبادتهم عملاً خيرياً بالنسبة للعالم. وكانت سعادة الجنس البشري تتوقف على ذلك."

لقد رأى كالب ذلك بوضوح كالآخرين، ولكن لاحظوا كلماته. لم يقل "نصعد ونفتحها" بل قال: "نصعد ونمتلكها". نمتلك ما سوف يعطينا إياه الله.

رأى كالب ذلك من وجهة نظر الله. أنهم كانوا بالطبع أقوياء، ولكن هل كانوا أقوى من الله؟ ألم يكن الله مع شعبه؟ ألم يسرْ أمامهم؟ هل هناك شيء عسير عليه؟ بالطبع كانت مدن كنعان محصنة بأسوار، ولكن هل تقوى تلك الأسوار على الله؟ أليس الله قادراً أن يرتفع فوقها؟ هل هي أعلى منه فيعجز عنها؟

لقد أوضح الكتاب المقدس مشكلتهم "ورذلوا الأرض الشهية. لم يؤمنوا بكلمته، بل تمردوا في خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب" (مزمور ١٠٦: ٢٤- ٢٥). إنهم لم يؤمنوا بالله بل بما يرونه. لقد حوَّلوا أبصارهم عن الله. كان في الأرض جبابرة ذوو أجسام ضخمة. ولكن عندما نفكّر في ذلك نجد أن الفارق بين الجبار والرجل العادي ليس أكثر من ٣٥ سنتمتراً. لكن فكّر كيف الاثنان يبدوان في نظر الله.

لي صديق يدعى بوب بوردمان يسكن في طوكيو، اليابان، ويعمل في البحرية، وهو ضخم الجثة، يزيد طوله على ستة أقدام، وعندما يسير في طوكيو يبدو هائلاً. ولكنك لو كنت في أعلى برج طوكيو ونظرت إلى أسفل حيث يقف بوب مع بعض أصدقائه، فإنك لن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تلاحظ أي فارق بينه وبينهم. والآن إذا كان الأمر كذلك فلنفكّر كيف يبدون جميعاً من وجهة نظر الله. إذن يتوقف كل شيء على المكان الذي ينظر منه الإنسان وما هي وجهة نظره وكيف يتطلع إلى الأشياء. فهل ننظر إلى الأشياء من خلال المشاكل المتوقّعة أم من خلال وعود الله؟

وهناك شيء آخر هامّ تجب ملاحظته. لم تكن الحقائق الواقعة كما كان الشعب يراها. قال الرجال العشرة أنهم بدوا في نظر السكان صغاراً كالجراد. "وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة، فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم" (عدد ١٣: ٣٣).

ولكن كيف كان هذا الشعب يراهم فعلاً؟ لقد عبّرت عن ذلك راحاب فقالت: "علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رعبكم قد وقع علينا، وإن جميع سكان الأرض قد ذابوا من أجلكم. لأننا سمعنا كيف يبَّس الله مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر، وما عملتموه بملكي الأموريين الذين في عبر الأردن، سيحون وعوج اللذين حرَّمتموهما. سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبقَ بعد روح في إنسان بسببكم. لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت" (يشوع ٢: ٩- ١١).

أوليس هذا شيئاً هاماً؟ لقد كان شعب الأرض يعيشون في رعب لعلمهم بأنه قد حُكم عليهم. لقد سمعوا بالخروج من مصر، وأعجوبة البحر الأحمر، وكانوا منذ ذلك الوقت يخشون اليوم الذي سوف يواجهون فيه ذلك الشعب الذي يحارب الله معهم ويُجري عجائب من أجلهم. لقد ذابت قلوبهم بالفعل واختفت الشجاعة من قلب كل إنسان.

ومع ذلك فقد كان شعب الله أيضاً خائفاً، وقالوا في قلوبهم أن الله لم يعد قادراً على الوفاء بوعده. ولعله تجاوز حدود مقدرته وحمّل نفسه فوق طاقتها.

لقد رأوا العقبات، ولكنهم تعاموا عن رؤية الله. يظن البعض أن القدرة على رؤية العقبات برهان على النضج والتبصّر. والواقع هو أنها أسهل طرق النظر. أما الله فيريد أُناساً ينظرون إلى ما وراء الصعاب ويبثّون الشجاعة في قلوب شعبه.

ماذا كانت نتيجة تقرير الرجال العشرة؟ "فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة" (عدد ١٤: ١).

كانت النتيجة الحتمية انهيار معنويات الشعب إذ صدّقوا ما قاله العشرة ونظروا إلى الظروف بدلاً من أن ينظروا إلى الله بإيمان. أما كالب ويشوع فكان تقريرهما: "الأرض التي مررنا فيها... جيدة جداً جداً. إن سُرَّ بنا الرب يُدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أيضاً تفيض لبناً وعسلاً، إنما لا تتمرّدوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلُّهم والرب معنا. لا تخافوهم" (عدد ١٤: ٧- ٩).

أخيراً، وبعد فترة التيه الطويلة، دخل فقط يشوع وكالب إلى الأرض دون رفاقهما. بل لم يدخلها أيضاً جميع الذين خرجوا من مصر مع موسى. إن أولئك المتذمّرين والمشكّكين والسلبيّين ماتوا في البرية وبيّضت عظامهم أشعة الشمس المحرقة.

يجب أن تظل أعيننا متطلّعة إلى أهدافنا، وليس إلى العوائق. فللمراجعة، يجب علينا عندما نتعهّد بواجب أمام الله أن نتذكَّر ثلاثة أشياء:

أولاً- اتجه رأساً نحو الواجب.

ثانياً- ثق بالله للمساعدة اللازمة.

ثالثاً- ركّز نظرك على الأهداف وليس على العوائق.

بالطبع قد تكون العوائق والصعوبات جدّية وحقيقية. وليس من المعقول أن تضمحل بمجرد تفكيرنا إيجابياً. وفي الفصل التالي سنناقش كيف نذلّل الصعوبات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع

تذليل الصعوبات

لا تكون السماء صافية دائماً. واليوم الغائم العاصف هو جزء من الحياة تماماً كاليوم الصافي. وهذا الواقع قد يوقع القائد في مأزق أحياناً. فهو يقوم بخدمة الرب. ويعمل من كل قلبه بموجب إرادة الله. وفي غضون كل ذلك، يجد نفسه محاطاً بالصعوبات والأزمات والمشاكل.

أما الصعوبات فإنها تواجه القادة دائماً، وهي على نوعين: مشاكل مع الفرقة، ومشاكل في حياتهم الشخصية.

مثال موسى

في الكتاب المقدس أمثلة عديدة عن رجال الله الذين واجهوا مشاكل وصعوبات في أثناء إشغالهم مراكز قيادية. من هؤلاء كان موسى. لقد واجه مشكلة في إحدى مراحل حياته عندما حاول أن يعمل كل شيء بنفسه. يتصرّف البعض بالطريقة ذاتها. تتلخّص فلسفة هؤلاء في الحياة في هذه الجملة. "إذا أردت عملاً جيداً فاعمله بنفسك".

كان في حياة موسى ما يدعو للإعجاب وهو انهماكه شخصياً في شؤون الشعب. فهو لم يكن مجرّد مراقب لا يقوم بعمل. لكن قوته هذه كانت مصدر ضعفه. "وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب، فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء" (خروج ١٨: ١٣). لقد أعطى موسى كل هذا العطاء لأناس حاولوا قبلاً رجمه حتى الموت. إذا كنت تخدم وتساعد أناساً يقدّرون ما تعمله فذلك سهل نوعاً ما، ولكن موسى كان يبذل أقصى جهد من أجل فئة ناكرة للجميل تحقد ولا تقدّر ولا تفكّر بل حاولت قبل ذلك بقليل أن تقتله. كان موسى خادماً لله، وكان يحاول أن يبيّن أمام الشعب صفات من له روح الله.

وفي أحد الأيام لاحظ حموه ما كان يفعله فسأله: "ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب؟ ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقف عندك من الصباح إلى المساء؟" (خروج ١٨: ١٤). فأجاب موسى "إن الشعب يأتي إليّ ليسأل الله. إذا كان لهم دعوى يأتون إليَّ فأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه" (خروج ١٨: ١٥-١٦).

عندما سمع حموه هذا الشرح أعطى موسى نصيحة قيّمة. "فقال حمو موسى له ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع. إنك تكدُّ أنت وهذا الشعب الذي معك جميعاً. لأن الأمر أعظم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

منك. لا تستطيع أن تصنعه وحدك. الآن اسمع لصوتي فأنصحك. فليكن الله معك. كن أنت للشعب أمام الله وقدّم أنت الدعاوي إلى الله، وعلّمهم الفرائض والشرائع، وعرّفهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه. وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أمناء مبغضين الرشوة، وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات. فيقضون للشعب كل حين ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها، وخفّف عن نفسك فهم يحملون معك. إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله تستطيع القيام، وكل هذا الشعب أيضاً يأتي إلى مكانه بالسلام" (خروج ١٨: ١٧- ٢٣).

إن أشد ما يثير الإعجاب في هذا الحادث هو أن موسى كان ذا وعيٍ وتبصّر فقبل تلك النصيحة. كان من الممكن أن يرفضها بدافع الكبرياء. كان ممكناً أن يقول: "من تظن نفسك لتعلّمني ماذا أفعل؟ ألا تعرف من أنا؟ أنا موسى الرجل الذي تكلم مع الله بالذات وجهاً لوجه. لو كنت بحاجة لنصيحة فأنا أعرف أين أبحث عنها. أنا قادر على الذهاب إلى الله نفسه ولست بحاجة لأن يأتي أحد أقاربي ويقول لي عما يجب عليَّ عمله". كان من السهل أن يتصرف موسى على هذا الشكل ولكنه لم يفعل. "فسمع موسى لصوت حميه وفعل كلّ ما قال" (خروج ١٨: ٢٤).

والآن لنفحص عن كثب تلك النصيحة التي ذلّلت المصاعب أمام موسى. هناك أربعة أشياء بارزة:

١- كانت الأولوية بالنسبة لموسى كقائد هي أن يصلي من أجل شعبه.

"كن أنت للشعب أمام الله، وقدّم أنت الدعاوي إلى الله". عليك إذن أنت أيضاً كقائد أن يكون هذا واجبك الأول. إن كنت مدرّساً في مدرسة الأحد عليك أن تصلّي من أجل كل طالب في الصف باسمه. وإن كنت رئيس قسم في الكنيسة، صلّ من أجل الذين يعملون معك. وإن كنت راعياً، أو شيخاً أو شمّاساً، صلِّ من أجل أولئك الذين هم تحت رعايتك. "يسلّم عليكم أبفراس الذي هو منكم عبد للمسيح مجاهد كل حين لأجلكم بالصلوات لكي تثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله" (كولوسي ٤: ١٢). إن الصلاة من أجل الآخرين تساعد كثيراً على حل المشاكل أو تجنّب الوقوع فيها.

٢- كان على موسى أن يعلّم كلمة الله. "وعلّمهم الفرائض والشرائع". إن على القائد أن يعلّم ما في الكتاب المقدس، ويفعل بشكل عامّ أو خاصّ، سواء في ذلك للجمهور أو لفرد واحد بمفرده. إن عليه أن يساعد الناس ليفهموا معنى كلمة الله وكيف يطبّقون ما فيها من حقائق في أوضاع حياتهم اليومية. فالناس لا يقدرون على عمل الحق ما لم يعرفوا الحق. وهكذا صلّى يسوع: "قدّسهم في حقك، كلامك هو حق" (يوحنا ١٧: ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣- يجب أن يكون موسى قدوة ظاهرة لشعبه. كان عليه أن يريهم الطريق حيث يجب أن يسيروا والعمل الذي يجب أن يقوموا به. فلقد قيل "قل لهم ماذا يفعلون؟ وقل لهم لماذا؟ وأرهم كيف".

كان دوسون تروتمان مؤسس "الملاحين" يقول لنا: "القول وحده ليس تعليماً، والسماع وحده ليس تعلُّماً". على القائد أن يُري الناس بالقدوة كيف يسيرون مع الله، وكيف يعملون من أجل الله. والناس بحاجة لمن يساعدهم ليتعلّموا كيف يحبّون المسيح وكيف يخدمونه. والناس لا يتعلّمون ذلك بالقراءة وسماع المواعظ. إنهم في حاجة ليروا بعيونهم مثالاً يتمثلون به. إنهم مثل الخياطين الذين يحتاجون لنموذج هو القائد عندما يقدّم نفسه قدوة.

٤- كان على موسى توزيع مسؤولياته على مساعديه. وأخيراً وصل يثرون في نصيحته إلى الحلّ الرئيسي وقال لموسى أن يوزّع حمله على بعض المساعدين، "فيقضون للشعب كل حين، ويكون أن كل الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها، وخفّف عن نفسك فهم يحملون معك." كان على موسى أن يتوقّف عن القيام بجميع الأعمال بنفسه وأن يُشرك آخرين ليحملوا الحمل معه. ولكن عليه أولاً أن يختار مساعديه بدقّة. إذ يجب أن يكون لديهم عمق روحي، وأن تكون لهم علاقة صحيحة بالله وبإخوانهم وبالعالم حولهم، "ذوي قدرة، خائفين الله، أمناء مبغضين الرشوة".

إن وضع الرجل المناسب في العمل يعتبر نعمة. أما الرجل غير المناسب فقد يصبح كارثة. تذكّر دائماً أنه "من السهل أن تضع إنساناً في مركز ومن الصعب أن تحاول إخراجه منه". واختيار موسى الدقيق لمساعديه علامة يتميّز بها القائد الجيد. وعندما قدّم يثرون نصيحته لموسى علّمه في الوقت ذاته شيئاً من أولوياته، علّمه المبادئ الأساسية للعمل وفن التكليف والتوكيل. إن أي عمل مهماً كان عظيماً ومعقداً يمكن أن يُقسم أو يجزأ إلى وحدات صغيرة تسهل إدارتها إذا كان لدينا الأشخاص المناسبون لتولّي مسؤولية ذلك.

تدريب القادة

إن هؤلاء الذين يُكلَّفون بحمل المسؤولية هم في الواقع قادة تحت التدريب. إنهم مساعدون. وهناك ثلاث صفات يجب أن تتوفّر في من نكلّفهم بالعمل.

١- المشابهة صفة يشترط وجودها بين المتعاونين. "لأن ليس لي أحد آخر نظير نفسي يهتم بأحوالكم بإخلاص. إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح" (فيلبي ٢: ٢٠- ٢١). إذن يجب أن يكون مساعدك على وفاق معك في الغايات والأهداف وفي الواقع يجب أن تكون تلك أهدافه وغاياته الخاصة. وأنت بدورك يجب أن تكون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

متحمساً لتجعله يقوم بذلك على طريقته الخاصة مستخدماً أساليبه وطرقه التي تنسجم مع مواهبه وقدراته التي وهبها له الله. يمكن تلخيص الفكرة كما يلي: اتفاقٌ وتقيّدٌ في الأهداف مع حريّة في استخدام الطرق والأساليب.

نجد في حياة عزرا ونحميا مثلاً على هذه المبادئ. فكل منهما قاد فريقاً من بابل إلى أورشليم. عندما بدأ عزرا أعطاه الله فكرة عن كيفية إتمام الخطة. "وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكي نتذلّل أمام الرب إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل مالنا. لأني خجلت من أن أطلب من الملك جيشاً وفرساناً لينجدونا على العدو في الطريق، لأننا كلَّمنا الملك قائلين أن يد إلهنا على كل طالبيه للخير، وصولته وغضبه على كل من يتركه. فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا فاستجاب لنا" (عزرا ٨: ٢١- ٢٣). وقد كان مقتنعاً بأن الذهاب إلى الملك وطلب مساعدته يعتبر خطيئة. ولذا فقد صام وصلى وشرع في السير مؤمناً بأن الله وحده سوف يوصله مع شعبه بأمان إلى أورشليم.

وبعد بضع سنوات شعر نحميا بتوجيه من الله للقيام بعمل مماثل. لقد كان لديه الهدف ذاته وهو أن يأخذ فريقاً من الناس من بابل إلى أورشليم. لكن ماذا كان أسلوبه في ذلك؟ "وقلت للملك: إن حَسُن عند الملك فلتُعطَ لي رسائل إلى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى أصل إلى يهوذا، ورسالة إلى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني أخشاباً لسقف أبواب القصر الذي للبيت ولسور الحديقة وللبيت الذي أدخل إليه. فأعطاني الملك حسب يد إلهي الصالحة عليّ. فأتيت إلى ولاة عبر النهر وأعطيتهم رسائل الملك، وأرسل معي الملك رؤساء جيش وفرساناً" (نحميا ٢: ٧-٩).

لقد شعر عزرا بأنه يخطئ لو طلب مساعدة البشر بينما نحميا لم يشعر بذلك، بل إنه لم يشأ الخروج من باب المدينة دون أن يأخذ رسائل إلى الولاة وأن يصحبه رؤساء للجيش وفرسان. كان يريد كل المساعدة التي يمكنه الحصول عليها. والآن من منهما كان مخطئاً؟ الجواب سهل جداً. كلاهما كان محقاً. فقد وجّه الله أحدهما بطريقة والآخر بطريقة أخرى. ولكن كثيراً ما نرتبك عند هذه النقطة. فيقول أحدنا: "هذا هو أسلوبي أما أنت فذلك هو أسلوبك؟ إذن أنت على خطأ". ليس الأمر كذلك. يجب أن يكون لكلينا هدف ثابت محدّد. أما الأساليب فلا ضرر فيما لو تنوّعت.

لاحظوا كيف تصرّف عزرا حيال الخطيئة بين الشعب "فلما سمعت بهذا الأمر مزّقت ثيابي وردائي ونتفت شعر رأسي وذقني وجلست متحيراً" (عزرا ٩: ٣).

أما نحميا فقد تصرّف بطريقة مختلفة عندما اكتشف خطيئة في الشعب. "فأشهدت عليهم وقلت لهم لماذا أنتم بائتون بجانب السور. إن عدتم فإني ألقي يداً عليكم. ومن ذلك الوقت لم يأتوا في السبت. وقلت للاّويين أن يتطهّروا ويأتوا ويحرسوا الأبواب لأجل تقديس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوم السبت.... فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلاً لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم" (نحميا ١٣: ٢١، ٢٢، ٢٥).

نجد مرة أخرى أنهما عالجا المشكلة كل منهما بطريقة مختلفة. فعزرا جلس أرضاً ونتف شعره، أما نحميا فعندما اكتشف من أخطأوا من قومه نتف شعورهم. فمن منهما كان على حق؟ لقد كان كلاهما مصيباً. إذ أن الهدف كان التخلص من الخطيئة بين الشعب، أما طريق الوصول إلى الهدف فكانت مختلفة تماماً. إذن عندما تكلف إنساناً بالقيام بعمل اترك له الحرية كي يستخدم إمكاناته وما وهبه الله من حنكة ما دامت الطريقة التي يستخدمها تؤول لمجد المسيح وتتفق مع كلمة الله. لكن التشابه بين القائد والمساعد ضروري بالنسبة للأهداف الرئيسة.

٢- النضج صفة أخرى. فيجب أن يكون معاونك "غير حديث الإيمان لئلا يتصلّف فيسقط في دينونة إبليس" (١ تيموثاوس ٣: ٦). يجب أن يكون قادراً على تدبّر مشاعره نتيجة لحمل المسؤولية. هناك أمران يحدث أحدهما للإنسان عندما يُكلّف بمسؤولية في برنامج الكنيسة. المسؤولية إما أن تخلق منه رجلاً أو أن تحطّمه.

لقد رأيت شباناً وشابات ينمون ويزدهرون كما رأيت بعضهم يسقط. أما الذين نموا فإنهم هم الذين قبلوا المسؤولية بتواضع اعتمدوا على الرب ليمنحهم البركة والقوة. ولقد استعمل الله المسؤولية الملقاة على عاتقهم لتجعلهم يعتمدون أكثر على الله، وقادهم ذلك إلى السجود والصلاة، كما قادهم للبحث في الكتاب عن إرشاد الله فأصبحوا أناساً أقوياء وقادرين بالنتيجة على تحمّل مسؤولية أكبر.

ورأيت من الناحية الأخرى أناساً يتسلمون مسؤولية ثم يتأخرون في سيرهم مع الله لقد ظهرت فيهم الغطرسة والدكتاتورية وامتلأت حياتهم بالكبرياء، وبالنتيجة جَنَوا سوء العاقبة. لقد خسروا تأييد الله لهم ولم ينتفعوا شيئاً.

وعليه فمن المهم للقائد أن يعرف مساعديه، وأن يقودهم خطوة خطوة في طريق المسؤولية. "لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين" (١ تيموثاوس ٥: ٢٢). ولعل أحسن طريقة لإتمام ذلك هي أن تعطي الإنسان مسؤولية صغيرة أولاً لترى كيف تؤثر عليه. فإذا تمكن من معالجتها فهو مستعد لحمل المزيد. فالقائد الذي يعرف كيف يكلّف الآخرين بالعمل ويشارك الآخرين في حمل المسؤولية لهو نعمة بالنسبة للذين يعمل معهم. إنهم سينمون ويتقدّمون ويصبحون عاملين روحيين في عالم يفتقر إلى العاملين.

 All rights reserved © 2008-2018

٣- الأمانة: هي الصفة الثالثة المطلوبة في المساعد. جاء في سفر الأمثال: "أما الرجل الأمين فمن يجده" (أمثال ٢٠: ٦). من المعترف به أن رجلاً كهذا نادر الوجود. ومن الصعب أن تجد أناساً يمكنك الاعتماد عليهم كلياً. يبدو أن هذه الصفة ليست من صفات عصرنا، وربما لم تكن قط قبلاً. "خلّص يا رب لأنه قد انقرض التقيّ، لأنه قد انقطع الأمناء من بني البشر" (مزمور ١٢: ١).

على القائد إذن أن ينتظر ليجد الرجل الأمين ولا يلقي بالحمل على أي شخص. لقد قدَّم سليمان السبب لهذا الانتظار إذ قال: "سِنٌّ مهتومة ورِجْلٌ مُخلَّعة الثقة بالخائن في يوم الضيق" (أمثال ٢٥: ١٩).

هناك آيتان في الكتاب المقدس أردّدهما أمام أصدقائي عندما أحاول مساعدتهم لبناء الأمانة في حياتهم، والآيتان تعبّران عن مبادئ علّمها يسوع لتلاميذه. فالمبدأ الأول هو أهمية الأمانة في الأشياء الصغيرة "الأمين في القليل أمين أيضاً في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضاً في الكثير" (لوقا ١٦: ١٠). فالإنسان الذي لا يرى أهمية القيام بعمل صغير بأمانة هو الإنسان الذي يفشل في الواجب الكبير. ويمكنك معرفة أخلاق إنسان من كيفية وضعه المقاعد قبل موعد الصلاة أو كيفية استقباله القادمين. ومن السهل اكتشاف ما إذا كان يعمل من قلبه أم لا. فالإنسان الذي يقوم بتدبير مسألة نقل أفراد الصف إلى المؤتمر يفعل الشيء ذاته وبالاهتمام ذاته لو كلّف بإدارة المؤتمر.

والمبدأ الثاني هو الأمانة في العمل مع الآخرين. "وإن لم تكونوا أمناء فيما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم؟" (لوقا ١٦: ١٢). فبعضهم يكره أن يدعوه أحد لمساعدة إنسان في برنامجه. فإذا لم يكن ذلك يخصّه تماماً فإنه لا يتورّع عن التهرّب منه. وقد علّم يسوع بأنك قبل أن تتمكن من حمل مسؤوليّتك تحتاج أن تتعلّم مع الآخرين ومساعدتهم في مسؤولياتهم.

ولذا فإن هناك دائماً مركزاً شاغراً في أعلى سلّم العمل لمن يريد العمل. فما أقل الذين يرغبون في تعلّم كيفية حمل المسؤولية عن طريق الانخراط أولاً في حياة شخص آخر ومساعدته في برنامجه. والكتاب المقدس مملوء من الأمثلة التي تصوّر لنا ذلك. فإن يشوع بن نون مثلاً كان خادم موسى. وقيل عن اليشع أنه "قام ومضى وراء إيليا وكان يخدمه. والرجلان يشوع واليشع صارا فيما بعد قائدين عظيمين لكن كلاًّ منهما تعلّم أولاً كيف يكون أميناً في خدمة لشخصٍ آخر.

هنيئاً للقائد الذي لديه رجال ونساء يُظهرون هذه الصفات. فإنه يستطيع توزيع الكثير من حمل المسؤولية عليهم ويبتهج لأن العمل يتقدَّم نحو إنجاز مهمة الكنيسة.

إطلاع الآخرين على ما يجري.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هناك ناحية يلقى القائد فيها الكثير من الصعوبات، وهي عندما يفترض أن الجميع يعرفون كل إنسان يعرف لماذا يفعل القائد هذا الشيء أو ذاك. لقد مرّ موسى بهذه الصعوبة. فقد "ظنّ أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة" (انظر أعمال ٧: ٢٥)، "وأما هم فلم يفهموا". لهذا يتعلم القائد أن يبقي خطوط الاتصالات مفتوحة مع الذين يعمل معهم، ويظلّ يُطلعهم على ما يجري، لأنه إذا لم يفعل ذلك يتعرّض للوقوع في الكارثة.

نرى هذا واضحاً في تاريخ بني إسرائيل ولا سيما في سفر يشوع. ففي يشوع ٢٢ قصة السبطين ونصف وكيف دعاهم يشوع ليعودوا إلى عائلاتهم شرقي النهر بعد أن ساعدوا باقي الأسباط في الحرب وإحراز النصر. لكن هؤلاء في عودتهم مرّوا بنهر الأردن، فبنوا هناك "مذبحاً على الأردن، مذبحاً عظيم المنظر" (يشوع ٢٢: ١٠). بلغ الخبر سائر الأسباط فاجتمعوا في شيلوه لكي يصعدوا ويحاربوا إخوانهم في عبر الأردن، أي بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسّى. ذلك أن بني إسرائيل اعتقدوا أن بناء ذلك المذبح عند النهر هو من قبيل التحدّي كما أنه تمرّد على الرب. إذ لا يجوز الاستقلال ببناء مذبح خاص غير مذبح الرب الذي هو أمام خيمة الاجتماع في شيلوه. لقد اعتبر بنو إسرائيل بناء مذبح خاص في موضع آخر هو انحراف عن عبادة الرب إلى الوثنية.

لكن بني إسرائيل أرسلوا أولاً لجنة لتتقصى الحقائق قبل التورّط في عمل خطير. فتبيّن بعد أن سمعت اللجنة تفسير السبطين ونصف أن بناء ذلك المذبح لم يكن بقصد التحدي ولا هو انحراف إلى الوثنية. لقد قالوا أنهم بنوا المذبح "لا للمحرقة ولا للذبيحة، بل ليكون هو شاهد بيننا وبينكم وبين أجيالنا بعدنا لكي نخدم خدمة الرب أمامه بمحرقاتنا وذبائحنا وذبائح سلامتنا. ولا يقول بنوكم غداً لبنينا ليس لكم قسم في الرب" (يشوع ٢٢: ٢٦- ٢٧).

وعندما سمعت اللجنة ذلك التفسير اقتنعوا وانفضّ الخلاف. (يشوع ٢٢: ٣٠). لقد تفادوا من الكارثة. لكن لاحظ ماذا جرى. إن التسرّع في الظن الخاطئ أدّى إلى اتهام لا لزوم له وقد أدى بدوره إلى غضب وتفرقة، بل كان من الممكن أن تشتعل الحرب. إن على القائد اتخاذ كل ما من شأنه أن يمنع الوصول إلى موقف كهذا، وذلك بأن يُطلع المختصّين على ما يجري. فالخطط التي توضع سراً تواجه دائماً ردّ فعل سلبي. إن بذل الجهد إيجابياً لإطلاع الناس على ما يجري، وإيضاح سبب ذلك، ينجح في أغلب الأحيان في صدّ تيار الإشاعات.

يتَّفق معظم القادة على أن إطلاع الناس باستمرار أمرٌ ضروريّ، ولكن ذلك لا يخلو من صعوبة. إن التعقيد الزائد في أمور الإنقسام والاختلاف يجيء غالباً من مصدر واحد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هو الشيطان. إن أهم أدواته التي يستخدمها لإنزال الفوضى في برنامج الكنيسة، وإيقاف سير الإنجيل هو زرع الفتنة وجعل المؤمنين يتقاتلون فيما بينهم. لذلك يجب أن يبذل القائد كل جهد للاحتفاظ بجوّ من المحبة والسلام التناغم بين الذين يعمل معهم. إن هذا يكلّف جهداً "بكل تواضع ووداعة، وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" (أفسس ٤: ٢- ٣).

إن مما يساعد كثيراً في عمل القائد كتابته تقريراً شخصياً موجّهاً إلى الأخوة أو رسالة أخبار دورية. كما يساعد أيضاً لو طلب مشورتهم وأطلعهم على قراراته. فهو أولاً يحتاج إلى كل مساعدة يستطيع الحصول عليها، وثانياً يصبح الناس عالمين بما يجري وأنهم يساهمون في العمل مساهمة فعّالة. إن هذا يزيد المعنويات ويقلّل من سوء التفاهم. إن على القائد ألا يتخلى عن هذا الواجب. إن عليه أن يواجه المسؤولية فيقدّم المعلومات ويبقي خطوط الاتصال مفتوحة. وعلى الرغم مما في هذا العمل من مشقّة وما يسبّبه أحياناً من مضايقات فإن القائد سوف يكون مسروراً لقيامه به.

القيام بواجبات غير مستحبّة

عندما يتعلّق القائد بالقيام بأعمال محبّبة لنفسه ويتجنّب تلك التي لا تسرّه فإنه عاجلاً أم آجلاً سيقع في مشاكل. هناك واجبات لا يستطيع القائد التّهرب منها، وعليه أن يُقدم على إنجازها. إن لدينا مثلاً على هذا في حياة داود. كان داود رجلاً متفوّقاً في المعارك محارباً شديد البأس، كما كان يقوم بأعمال إدارة الشعب بجدارة. إن انشغاله بإدارة شؤون الحرب لم يمنعه من الاهتمام بالشؤون الإدارية.

لقد وصف لنا الكتاب المقدس التنظيم الذي عمل به داود لإدارة البلاد. "وملك داود على جميع إسرائيل وكان يُجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه. وكان يوآب ابن صروية على الجيش ويهوشافاط بن أخيلود مسجِّلاً وصادوق بن أخيطوب بن أبياثار كاهنين وشوشا كاتباً وبنايا بن يهويا داع على الجلاّدين والسعاة وبنو داود والأوّلين بين يدي الملك" (١ أيام ١٨: ١٤- ١٧).

كان لدى داود قائدان عسكريان كبيران، واحد لقيادة القوات في ساحة القتال والآخر لقيادة حرس داود، لحفظ النظام في البيت. وكان له موظفان دينيّان تحت قيادة أبياثار وآخران مدنيّان. أحدهما يطلعه مقدّماً على الأعمال الواجب إتمامها والآخر لكي يُطلع الشعب على الأعمال التي أنجزت. وبذلك كان الشعب يعرف ما يستجدّ من القوانين ويبقى على اتصال شخصي بالملك. لقد نجح هذا النظام وأحبَّه الشعب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن من واجب القائد العمل ببرنامج متوازن. إن من السهل إبراز ناحية من عمله على حساب ناحية أخرى. قد يهتم مثلاً للنواحي المالية ويهمل التبشير، أو يهتم بالتبشير ويهمل تدريب الأفراد. قد ينشغل بتفاصيل في التنظيم والإدارة وتغيب عن باله الأهداف الرئيسية الأكثر أهمية. إن عدم التوازن هذا قد ينتج عندما يسمح القائد لنفسه أن يضع نصب عينيه الأعمال التي يحبّها بينما يهمل المسؤوليات المرافقة والتي هي جزء من العمل. إن القدرة على تقبّل المرّ مع الحلو هي من سمات القائد الناجح.

مشاكل شخصية: الحزن والألم

ليس القائد معفى من المشاكل الشخصية في الحياة. فهو كغيره من البشر قد يتعرّض لمصاعب مالية، كما قد يواجه تجارب قاسية مع أولاده. قد تحلّ به الأمراض وقد يتعرض لهجمات شخصية بسبب ميوله أو أخلاقه أو استقامته. وبالتالي فإن زوابع الحياة قد تعصف به فيبدو وكأنها قد تغلَّبت عليه وسحقته في عنفها. فالغم والقلق والحيرة ليست بعيدة عن رجل في مركز القيادة.

ولقد تكلم بولس الرسول عن ذلك. "وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالضيقات، عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (روميه ٥: ٣- ٥).

عندما أقرأ هذا المقطع يهزني قول بولس "نفتخر بالضيقات". لماذا؟ ما هو الجميل الرائع في الضيقات؟ ولماذا يفتخر بذلك رجل عادي عاقل؟ من المنتظر أن يتجنّب الناس الوقوع في الضيقات، لكن الكلام هنا يدور حول الافتخار بها. أوليس هذا تناقضاً غريباً؟ فالضيقات تعني الهم والقلق.

إن كلمة "ضيقات" هذه التي ترددت هنا تأتي من كلمة يونانية قديمة تعني الآلة التي كانوا يخبطون بها قش الحنطة فيفصلون بذلك بين القمح والتبن. فالضيقات تنقّي المؤمن كتنقية القمح من التبن، ولذلك يفتخر بولس بها. ولم يكن بولس وحده يقف هذا الموقف بل شاركه فيه الرسولان بطرس ويعقوب. يقول بطرس "أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب" (١ بطرس ٤: ١٢). وكتب يعقوب "احسبوه كل فرح يا أخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء" (يعقوب ١: ٢- ٤).

إنه أمر غريب. إني عادةً أفرح عندما أخرج من ورطة أو تجربة وقعت فيها. أفرح عندما أخرج وليس عندما أقع فيها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قال بولس الرسول لأهل كولوسي أن يواجهوا الآلام المتواصلة بفرح وشكر. "متقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده بكل صبر وطول أناة بفرح شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور" (كولوسي ١: ١١- ١٢).

عند قراءة هذه الآيات نرى لماذا يجب مواجهة التجارب والمشاكل بالفرح والشكر لأنه من خلالها يبني الله الأخلاق المسيحية. فقوة الاحتمال وصدق العزيمة ينموان في حياتنا. إن علينا ألا ننسى أن هذه هي طريقة الله في العمل. إن الصبر صفة أساسية لابد منها للقيادة. وهذا هو أسلوب الله لجعلها جزءاً منا. إن الشجرة التي تكبر وتنمو في المشتل الدافئ تكون سليمة لكنها رفيعة ضعيفة. أما الشجرة التي تنبت حيث الريح الشديدة فإنها تضرب بجذورها عميقاً في الأرض وتكون صلبة قويّة. إن هذا ما يحتاجه القائد. إذ عندما تأتي التجارب فإنها تقوّي إيماننا، وهذا الاختبار يوجد فينا الثقة بالله للمستقبل.

وكتب بولس: "فقال لي تكفيك نعمتي لأن قوّتي في الضعف تكمل فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح. لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قويّ" (٢ كورنثوس ١٢: ٩- ١٠). يجب أن نواجه الواقع وهو أن الله مهتّم بنضجنا أكثر من اهتمامه براحتنا. إن رغبته هي تنعكس على حياتنا ومن الجوانب العديدة، أشعة جمال المسيح.

هل دخلت مرة إلى مصنع خزف؟ عندما توضع قطعة الخزف في التنور تكون ألوانها باهتة وقاتمة ولكن عندما تخرج من نار التنور تكون ذات ألوان برّاقة. إن النار هي التي تكسبها ذلك الجمال. وهكذا الحال في حياتنا، فإن نيران الحياة تظهر جمال حياة المسيح فينا.

السيدة ليلي تروتمان زوجة مؤسس "الملاحين" واجهت في حياتها صعوبات كثيرة، ولكن عندما تدخل هذه السيدة أي مكان فإن الحاضرين يشاهدون النور يضيء في وجهها. إنه نور جمال المسيح يشع من خلال روحها.

إن هذا بالطبع يحدث فقط عندما نواجه ضيقات الحياة في نور صليب المسيح. وإلا فإن الشدائد تستطيع أن تدق وتداً من العداء بيننا وبين الرب. فقد نصبح متهوِّرين. وعليه يجب أن نواجه متاعبنا ونثق بالله كي يستخدمها لإكمال مشيئته وعمل إرادته فينا.

بالإضافة إلى إظهار جمال المسيح يمكن أن تصبح الضيقات وسيلة لبيان قدرة الله. فقد ضُرب بولس وسيلا وألقيا في السجن ووضعت أرجلهما في المقطرة. ورغماً عن أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حقوقهما المدنيّة قد اغتصبت وكانا يعاملان خلافاً للقانون فكيف تجدهما يتصرفان؟ كانا يرنّمان. هل كانت ترانيم احتجاج؟ لا ، بل كانت ترانيم الانتصار وتمجيد الله.

لقد مارس بولس في مدينة فيلبي ما علَّم به في رسالته إلى كولوسي. فعندما ضُرب هو وسيلا بالعصيّ وأهينا كان ردّهما الفرح والشكر لله. كان هذا إظهاراً لقوة الله المجيد فيهم. "متقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده بكل صبر وطول أناة بفرح" (كولوسي ١: ١١).

هناك اختلاف في الآراء حول كيفية إظهار الله قوته في حياة الإنسان. يقول لنا بولس أن الإنسان إذا اجتاز وسط نار الصعوبات بروح الفرح والشكر فتلك قوة.

وكما نظر موسى، وإذا علّيقة تتوقَّد بالنار والعلّيقة لم تكن تحترق، فكان في ذلك تحدٍّ له، فقال أميل لأنظر هذا المنظر العظيم، هكذا يشعر الناس بالتحدي عندما يرون إنساناً يجتاز وسط نيران الصعوبات وهو يشكر الرب ويحمده.

إن أكثر ما يجب الاحتفاظ به في أذهاننا من الكتاب المقدس خلال أيامنا الصعبة هو ما أعطاه لنا أشعياء. "لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما عَلَت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم". (أشعيا ٥٥: ٨- ٩). عندما نصلي طالبين من الرب أن ينقذنا يجب أن نذكر أن لله وقته الذي عيَّنه وله طرقه الخاصة للعمل. نرى مثالاً على هذا في اختبار بولس الرسول في أنطاكية بولاية بيسيديا حيث طُرد إلى خارج المدينة (أعمال ١٣: ٥٠). ثم ذهب من هناك إلى أيقونية حيث حاولوا رجمه ولكنه هرب إلى لسترة (أعمال ١٤: ٥- ٦). وفي لسترة ثارت عليه الجموع ورجموه وتركوه على أساس أنه مات (أعمال ١٤: ١٩). وهكذا نجا بولس من ثلاثة أخطار المرة تلو المرة. وهذا في ذاته حسن مع أن كلاًّ من هذه الحوادث كان يكفي للقضاء على بولس لو سمح الله بذلك.

عندما ذكر بولس هذه الأحداث فيما بعد صرّح تصريحاً مذهلاً. "وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وأيقونية ولسترة، أية اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب (٢ تيموثاوس ٣: ١٠- ١١). هل كان بولس يعني حقاً أن الرب أنقذه "من الجميع"؟ لقد أنقذه في أنطاكية، وأنقذه أيضاً في أيقونية. أما في لسترة فوقع في أيدي جمع حاقد فرجموه وظنوا أنه مات.

لكن مع هذا يقول بولس "ومن الجميع أنقذني الرب"، وفي هذا حقيقة جميلة. لقد أنقذ الرب بولس مرّتين من الرجم فلم يرجمه المضطهدون، لكنه سمح في المرة الثالثة أن يُرجم. ومع أنه رُجم لكن الرب أنقذ حياته. لقد كان الرب المنقذ في المرات الثلاث. طبعاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان بولس يتمنى لو أن الرب جنّبه الرجم في المرة الثالثة كما جرى في المرتين الأوليين، لكن طرق الله ليست دائماً طرقنا. المهم هو أن بولس اجتاز هذه الاختبارات وهو يشهد بفرح لقوة الله التي تنقذ وتحفظ. "وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته السماوي، الذي له المجد إلى دهر الدهور. آمين" (١ تيموثاوس ٤: ١٨).

"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوُّون حسب قصده" (روميه ٨: ٢٨). من السهل فهم حقيقة هذه العبارة، لكن من الصعب ممارستها في الحياة اليومية. يجد القائد صعوبة في رؤية الخير وهو يحسّ بحرارة أتون التجارب.

أُلاحظ وأنا أكتب هذه الكلمات كيف تقوم زوجتي بعمل فطيرة بالتفاح. فلو أنها قدَّمت إليّ طبقاً من التفاح المدهون بالزبدة لرفضت قبوله، وكذلك لو أعطتني كأساً مملوءة بالطحين والخميرة. ولكن عندما تجمع كل هذه المواد وتمزجها بآلة المزج، وتضع العجينة الناتجة في الفرن لفترة وجيزة، فإن ما يخرج بعد ذلك يكون فطيرة تفاح شهيّة.

إن هذا ما يفعله الله كثيراً في حياتنا. فهو يمزج معاً الأوقات الطيبة والأوقات الصعبة، ويعرف بالضبط النسبة الصحيحة التي يجري بها المزج. ثم نمر في نار التجارب، وإذ تكتمل العملية نخرج من كل ذلك أناساً أفضل مما كنا. إن السرّ هنا هو أن ندرك ما الله فاعله ونفتخر ونفرح في الضيقات ونستجيب بالشكر والفرح.

وعليه فعندما تجد نفسك في مأزق، أو محتاراً، أو مضطهداً، أو مطروحاً فافرح. ذلك أن الله ينشئ فيك صبراً ورجاء. "لكي تكونوا تامّين وكاملين غير ناقصين في شيء" (يعقوب ٤: ١). فإذا كنت الآن تواجه أياً من هذه الأشياء فافرح لأنك في صحبة أحسن الرفاق. كتب بولس يقول: "مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيِّرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين" (٢ كورنثوس ٤: ٨-٩). بالإضافة إلى ذلك كان بولس يواجه الموت دائماً "لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا" (٢ كورنثوس ٤: ١١).

ما الذي جعل بولس مستمراً في مواجهة كل هذه الصعاب؟ أنه يذكر خمسة أشياء، أولها الإيمان "فإذا لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب: آمنت لذلك تكلمت، نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً" (٢ كورنثوس ٤: ١٣). وثانيها الأمل "عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع ويحضرنا معكم" (٢ كورنثوس ٤: ١٤). وثالثها احتياجات الآخرين "لأننا إن صرنا مختلّين فلله، أو كنا عاقلين فلكم" (٢ كورنثوس ٥: ١٣). ورابعها مكسب حياتنا "لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢ كورنثوس ٤: ١٦). وخامسها كان رؤيته لكل شيء على ضوء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأبدية "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا ترى. لأن التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية" (٢ كورنثوس ٤: ١٧- ١٨).

فلو أمكننا رؤية الأشياء كما هي في الحقيقة نجد أن الضيق الحالي الذي يبدو ثقيلاً وطويلاً، هو في الحقيقة خفيف وقصير، ويجب أن نواجه الصعوبة في ضوء الصليب ومن وجهة نظر السماء، وأن تتذكر بأنها تعمل لخيرنا وليس ضدنا.

ما هي بعض الخطوات العملية التي يمكن أن يتخذها القائد عندما يكون في وسط المتاعب والحزن؟ أولاً يستطيع أن يتمسك بكلمة الله بجدّية "ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم" (١ بطرس ٥: ٧).

لقد حفظت هذه الآية غيباً منذ أول إيماني، ولكني لم أتمكن من فهمها إلا أخيراً إذ أصبحت جزءاً من اختباري الشخصي. كنت أتحدّث مع الدكتور بل برايت من الحملة الجامعية للمسيح فذكرت له بعض الهموم والمصاعب التي كنت أمرّ فيها.

نظر إليّ وقال: لقد وجدت يا ليروي عزاء عظيماً في (١ بطرس ٥: ٧). لقد تبيّن لي في حياتي الخاصّة أنه، إما أن أحمل أحمالي أو يحملها المسيح عني. ولما كان من غير الممكن أن نحمل كلانا تلك الأحمال قررت أن أتركها له.

وتحدّاني الأخ برايت أن أجرّب ذلك. تركت غرفته في الفندق الذي كنا كلانا ننزل فيه، وكنت مرتبكاً وأنا أتساءل: هل تعني تلك الآية فعلاً ما تقوله؟ ذهبت بعد ذلك إلى غرفتي وبدأت أصلي. وطبّقت بقدر ما أعرف ما قاله لي الأخ برايت كنت أشعر طوال شهور كأن في معدتي عقدة، أما بعد ذلك فقد تركتني العقدة واختبرت إنقاذ الله. لا أقول لم تبقَ لدي مشاكل، فهي لم تزل حتى اليوم، ولكن الحمل قد انزاح. لم أعد أقضي ليالي بلا نوم، أو أن أبكي حتى أنام. أستطيع الآن مواجهة الحمل مع فرح الروح وشكر القلب.

خلال ارتحال بني إسرائيل "جاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مرّ لذا دُعيّ اسمها مارة" (خروج ١٥: ٢٣). جاءوا بعد ذلك إلى ايليم حيث وجدوا مياهاً حلوة ونخلاً مثمراً. "ثم جاءوا إلى ايليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فنزلوا هناك عند الماء" (خروج ١٥: ٢٧).

إني أعرف ذلك في حياتي الخاصّة. فإن مياه مارة المرة تلتها شركة حلوة مع الرب وثمرٌ أوفر في خدمته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

الفصل العاشر

التغلّب على الأخطار

في المنطقة التي نعيش فيها تكثر الحيّات المجلجلة، وقد حدث أن التقيت إحداها كل صيف. إنه اختيار مرعب أن ترى إحداها ملتفّة تنظر إليك مستعدّة لتلدغ ولدغها سريع كالبرق ولا يخطئ. إن خطتي بالنسبة لتلك الحيّات تتلخّص في كلمتين: تجنّب وابتعد. إنك لا تحتاج للكثير من الذكاء لتعرف ماذا تفعل تجاه خطر الأفعى ذات الأجراس والظهر الماسيّ اللامع. ابتعد عنها.

حاول أحد أصدقائي أن يمسك بإحداها، وانتهى به الأمر إلى المستشفى. لم يمت، إذ لم يصبهُ غير خدش بسيط من ناب واحد، ولكنه مرض مرضاً مضنياً ولا تزال إصبعه مشلولة نتيجة لتلك اللدغة. إنما هناك حسنة واحدة في التعامل مع هذه الأفاعي، فهي لا تحاول خداعك. عندما تجلجل بأجراسها وتبدي أنيابها تعرف بالضبط ماذا ينتظرك.

ومن المؤسف أن الحال ليست دائماً بهذا الوضوح بالنسبة للأخطار التي قد تقضي على القائد. فغالباً ما تبدو بعض الأخطار كأنها غير ضارّة، أو تجيء مستترة برداء من الاحترام. ومن ناحية أخرى يأتي بعضها ظاهراً مكشوفاً. إنها تريك أنيابها فلا يبقى لديك أي شك. لنستعرض بعض الأخطار التي يتعرّض لها القادة.

منذ بضع سنوات، كنت أجمع حولي بعض الرجال للقيام بحملة للمسيح بين طلاب جامعيين. وقد كتب لي بوب ستيفنز، وهو أحد ضباط سلاح الطيران الذي ترك الخدمة العسكرية، فقال في رسالته أنه مهتم بالبرنامج. فأجبته قائلاً: أن لديَّ بعض الأسئلة التي أود طرحها عليه.

وكان السؤال الأول: هل تظن أن بإمكاننا لأن نُدخل في هذه الخدمة التبشيرية أناساً يكرهون الله؟ كان بوب شاباً لامعاً، وهو أحد خرّيجي كلية الهندسة بجامعة ماريلاند وقد نال درجة التفوق، فلم يتأخر بالردّ وحصره بكلمة "لا". وهنا أعطيته آية من الكتاب المقدس "لا يقدر أحد أن يخدم سيّدين. لأنه إما إن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (متى ٦: ٢٤).

ومع هذه الإجابة وجّهت سؤالي الثاني: هل تظن أن بالإمكان أن يعمل معنا أناس هم أعداء صليب المسيح؟ فأجاب: لا فأعطيته آية أخرى: "كونوا متمثّلين بي معاً أيها الأخوة، ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة. لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون بالأرضيات" (فيلبي ٣: ١٧- ١٩).

في هذا المقطع يقول بولس بأن أعداء صليب المسيح "يفتكرون بالأرضيات". إنهم يلتقون جميعاً في أمور هذا العالم، ويعيشون بروح مناهضة لروح الصليب التي هي روح المحبة المضحيّة.

وافق بوب على رأيي، وأتى عازماً أن يكرّس نفسه. وها هو قد أمضى عشرين عاماً يخدم بهذه الروح. إن خطيئة الطمع لم تعلق قط بروحه وقد استخدمه الله في بلدان كثيرة حول العالم. كما أن هناك كثيرين من الشبان في قارات ثلاث، تعود جذورهم الروحية إلى تأثير المسيح من خلال حياة بوب ستيفنز الروحية.

الطمع

إن الطمع هو إحدى الخطايا التي يندّد بها بولس الرسول بشدة. "فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعلمون، ولا في علّة طمع. الله شاهد" (أفسس ٢: ٥). فالكسب الشخصي لم يكن مطلبه في خدمته. وإلا لما كان الله استخدمه في ذلك العمل العظيم إذ نشأت على يده كنائس مسيحية زاهرة.

كان بولس ضد الطمع والتعلّق بالملاذ الفانية. فها هو يقول: "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد. فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع الذي هو عبادة الأوثان" (كولوسي ٣: ١- ٥).

لاحظوا أن الطمع هو عبادة الأوثان. والرسول يوحنا أيضاً كتب "أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام" (١ يوحنا ٥: ٢١).

ما الذي يجعل الطمع خطراً مميتاً إلى هذا الحد على القائد الروحي؟ هناك على الأقل سببان. الأول- هو أن الطمع يجعل القائد يفقد الرؤية، فتصبح حياته مركّزة على هذه الدنيا وقد قال يسوع "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٦). فإذا اهتم القائد بأشياء هذه الدنيا يتحوّل فكره إلى اتجاهات لا نفع فيها فيعيش لا لما هو أبديّ بل لما هو زائل.

لقد عاش يسوع ومات لكي يعطي الحياة الأبدية للعالم. ولذا يجب على القائد ألا يحيا بقصد جمع الفوائد الشخصية. واتقاءً لهذا الخطر، على القائد أن يكون دائم الحذر. وليذكر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تحذير يوحنا: "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظُّم المعيشة. ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١ يوحنا ٢: ١٥- ١٧).

سمعت مرة أحد الوعاظ يتبجّح بالقول أن بإمكانه أن يعظ يومياً لمدة أسبوعين دون أن يرتدي البدلة ذاتها مرتين (أي كان لديه أكثر من أربع عشرة بدلة.) كيف يعظ هذا الواعظ بكلمة الله ويكدّس كل تلك الملابس؟ إن انصراف خدام الله لجمع المال يسيء لسمعة الخدمة ويضرّ بها.

إن هذا لا يعني أن عمل المسيح لا يحتاج للمال. إننا نعرف من أسفار العهد الجديد أن الرسل الأولين كان لديهم مالٌ كاف. فقد حدث لفترة أن باع أفراد من الكنيسة أملاكهم لكي يؤازروا تقدُّم البشارة. فإن برنابا "إذ كان له حقل باعه واتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل" (أعمال ٤: ٣٧). لكن تلك الأموال لم تُستخدم لجمع ثروة شخصية لأيّ من الرسل. لقد قال بطرس: "ليس لي فضة ولا ذهب" (أعمال ٣: ٦).

والسبب الثاني الذي يجعلنا نعتبر الطمع خطراً مميتاً هو أنه عندما يهتم الإنسان بالمال أولاً ويعطي الله المقام الثاني، فإنه لا يلبث أن يبعد الله من حياته ولا يعطيه أي مقام. إن الطمع خطيئة خبيثة تعشِّش في أعماق القلب. قال الله: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج ٢: ٣). عبادة الأوثان هي أن تحب أي شيء أكثر من الله. في هذه الأيام لا يزال بعض الآلهة المصنوعة من الحجر أو جذوع الشجر. إلا أن أكثر آلهة هذا العالم مصنوع من الزجاج المزخرف والمعدن البرّاق أو من النايلون أو الصوف أو الحرير أو جلد التمساح.

أذكر حديثاً جرى لي مع شاب كان يتوق لأن يصبح قائداً في عمل المسيح. لقد التقينا في مدرسة للكتاب المقدس، حيث كان يدرس وعلى وشك أن يتخرّج، وجرى بيننا بحث في بعض القضايا. بدا لي أن الشاب كان ناجحاً في المدرسة من الناحية الأكاديمية وأن لديه طاقة كبيرة لخدمة الله. في ذلك اليوم سألته عما سيفعله بعد تخرُّجه. لم يجبني بسرعة، وكان يفكّر بعمق واهتمام. وتوقّعت أن يجيبني بأنه متشوّق لخدمة الرب. فقد يحبّ أن يصير مرسلاً فيسافر إلى بلد بعيد حيث يخدم بين سكان الأدغال. أو يغامر فيدخل أحد بلدان الستار الحديدي ليبشر بالإنجيل ولو كلّفه ذلك حياته ذاتها. لقد ذهبت بمخيِّلتي شتى المذاهب.

أخيراً تطلّع الشاب إليّ وأجاب برصانة وجدّ: "أظن أني سأشتري سيارة بويك."

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دهشت من جوابه وارتبط لساني عن الكلام. هذا الرجل ذو طاقة كبيرة لخدمة الله لكن لا يشغل اهتمامه غير بريق هذه الحياة الزائلة. ويبدو أن وصية بولس لم تصل إلى العمق لتؤثّر في دوافعه الداخلية: "ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيّة الكاملة" (روميه ١٢: ٢). ولم تكن محبة المسيح تحصره وتوجّهه إلى أهداف أعلى وأنبل (انظر ٢ كورنثوس ٥: ١٤- ١٥).

إن السؤال، بالطبع، ليس إن كنا أغنياء أم فقراء. إني أعرف رجالاً ونساء هم من أغنى الناس في هذه الحياة، وقد كرّسوا حياتهم لخدمة الله، ويشغلون مراكز قيادية هامّة في خدمة المسيح. إن الطمع وحب المال مسألة تتعلق بحالة القلب وليس بالرصيد في البنك. إن ما لدينا في هذه الحياة يمكن استخدامه للمسيح، وأموالنا تكون كعبد يطيعنا لا كسيد يأمرنا. هذه الأموال إما أن تأسرنا أو نسيطر عليها ونستخدمها. إن المؤمن الذي أعطاه الله مالاً يستطيع أن يستعمله بحكمة فيكون وسيلة خير وبركة لمئات من الناس.

أمّا الناس الذي يقعون في قبضة الطمع فإن حالهم تدعو إلى الشفقة، إذ لا يعرفون القناعة أو الراحة طوال طريقهم إلى الموت. "من يحب الفضّة لا يشبع من الفضّة، ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل. هذا أيضاً باطل" (جامعة ٥: ١٠).

يحذّر بولس فئتين من الناس، الأولى هم أولئك الذين يحيون ويعملون ليصبحوا أثرياء. "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيّة ومضرّة تغرّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذا ابتغاه قومٌ ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تيموثاوس ٦: ٩- ١٠).

إن شركاً كهذا يشكل تهديداً كبيراً، ولقد حدث قريباً لبولس نفسه بعدما تركه ديماس "إذ أحبّ العالم الحاضر" (٢ تيموثاوس ٤: ١٠). ومع أن ديماس كان مرافقاً للرسول نفسه فقد فاته الإصغاء إلى هذا التحذير وخاب نهائياً.

أما الفئة الثانية التي يشملها التحذير فهي فئة الأثرياء. "أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينيَّة الغنى، بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتُّع. وأن يصنعوا صلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، وان يكونوا أسخياء في العطاء، كرماء في التوزيع، مدّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية" (١ تيموثاوس ٦: ١٧- ١٩). يتعرض الأغنياء للسقوط في تجربة التكبُّر فيُلقون رجاءهم على المال في هذه الدنيا وليس على الله. بينما يجب عليهم أن يحيوا مفكرين في الأبدية وأن يستعملوا ثروتهم وفقاً لذلك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسوع أيضاً تكلم على هذا الموضوع. فقد جاءه رجل يظن أن أخاه أخطأ إليه. قال: "يا معلّم قل لأخي أن يقاسمني الميراث. فقال له (يسوع) يا إنسان، من أقامني عليكما قاضياً أو مقسّماً؟ وقال لهم انظروا وتحفّظوا من الطمع.فإنه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياته من أمواله" (لوقا ١٢: ٣- ١٥). فهو لم يتعاطف مع الرجل الذي ادّعى بأن أخاه يسيء إليه، بل حاول أن ينشل جميع سامعيه من وهدة الطمع. هنا رجل لديه المال وآخر يطمع فيه. كلاهما واقع في براثن الطمع. وقال لهم يسوع المثل الذي يظهر غباء الإنسان الذي "يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله".

يحسن إذن بالقائد أن يفحص قلبه حول هذا الموضوع حتى يتأكد من أنه لن ينزلق ويقع في ذلك الفخ المميت.

تمجيد الذات

والخطر الثاني المميت الذي يتعرّض له القائد هو الكبرياء. قال بولس "ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح" (١ تسالونيكي ٢: ٦). فبعد أن تبرأ بولس من الطمع (الآية ٥) نجده يتبرأ الآن من تمجيد الذات والسعي في طلب الإكرام والمركز.

هذا أيضاً فخٌ خبيث وقد يقع فيه الإنسان بشكل طبيعي دون أن يلاحظ ذلك. فلو كنت أحد المتكلمين في مؤتمر، أو كنت القائد لفريق، فقد تحدث أشياء تجعلك تبدو شخصاً فوق العادة. وجدت نفسي مرة في وضع كهذا. "هذا لروي. إنه يترأس إحدى حلقات الدراسة في المؤتمر". "تعال يا لروي نتحدث قليلاً، فهنا أصدقاء يرغبون في التحدث إليك". "يا لروي، ما رأيك لو جلست معنا على المنبر لاستقبال الأخوة وتوجيه الصلاة". "يا لروي، تعال معنا إلى حفلة غداء خاصّة، إنها أكثر هدوءاً وراحة من غرفة الطعام مع المؤتمرين العاديين".

مؤخراً حضرت مؤتمراً حيث جرى معي أشياء كهذه. وجدت نفسي أنزلق في فخ الإصغاء لعبارات التعظيم والتَّلذُّذ بها. استمر ذلك حتى اليوم التالي، ثم شعرت بأن الروح القدس يتكلّم معي مباشرة وشخصياً، وذلك من خلال كلمة الله. لقد كنت أقرأ في إنجيل مرقس، وفجأة بدت أمامي الآيات كما لو كانت لافتة مضاءة بأنوار ساطعة. "وقال لهم في تعليمه، تحرزوا من الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالسة، والتحيات في الأسواق. والمجالس الأولى في المجامع، والمتكآت الأولى في الولائم. الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلّةٍ يُطيلون الصلوات. هؤلاء يأخذون دينونة أعظم" (مرقس ١٢: ٣٨- ٤٠).

شعرت كأن الرب يقول لي: "هل تحب كل هذه والتي تجعلك تشعر بأنك ذو أهمية؟"

"نعم يا رب".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"هل تحب الصعود إلى المنبر والظهور بين ذوي الشهرة والأهمية؟"

"نعم يا رب".

"هل تحب تحيات الناس التي تغذّي أنانيتك؟"

"نعم يا رب".

بعد أن أعدت قراءة الكلمات في الآيات المذكورة عدة مرات شعرت بالندم. خررت على ركبتيَّ واعترفت بخطاياي وتصالحت مع الرب وقد شعرت بمواساته وغفرانه. شكراً لله من أجل الوعد: "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩).

لقد كان غفران الله كاملاً حتى أني بدأت أسخر من نفسي بخصوص ما مضى. لقد بدا كل شيء في منتهى الحماقة والبلاهة عندما أظهره لي الروح القدس بوضوح. وعندما كنت أدخل إلى القاعة في الأيام التالية للمؤتمر كنت أذكر نفسي وأنا أضحك "حسناً أيها الأبله، لا تتصرّف كالكتبة". وإني متأكد من أن بعض الذين رأوني كانوا يتساءلون عن سبب ضحكي. وأما أنا فكنت أعرف ذلك. لقد كنت أعجب من حُمق من يعمل جاهداً للحصول على مجد تافه، بينما كنت أستمتع بالاقتراب إلى الله، اقتراب يتجدَّد ويقوى.

يحسن بالقائد أن لا يقلّل من قيمة الخطر الذي حذّر منه بولس الرسول عندما قال "ولا نكن مُعجبين" (غلاطية ٥: ٢٦). لقد حدث مع بولس ما يمثّل لنا مدى خشيته من عبادة الناس. لقد استخدم الله برنابا وبولس كثيراً في مدينة لسترة حتى أن الناس قالوا فيما بينهم "إن الآلهة تشبّهوا بالناس ونزلوا إلينا" (أعمال ١٤: ١١). وعندما لاحظ الرسولان أن الناس كانوا على وشك تقديم ذبيحة لهما كما لو كانا إلهين "مزَّقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين: أيها الرجال، لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشرٌ تحت آلام مثلكم، نبشّركم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها" (أعمال ١٤: ١٤- ١٥).

واجه الرسولان في الواقع خطرين في لسترة. كان الأول تقديم الناس لهما العبادة والحمد، وكان الثاني الغضب والاضطهاد من الناس أنفسهم. "ثم أتى يهود من أنطاكية وأيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجرّوه خارج المدينة ظانين أنه قد مات" (أعمال ١٤: ١٩). من الواضح أن الخطر الأول كان الأكبر والأعظم، لأن الرسولين لم يمزّقا ثيابهما عندما حاول الشعب رجمهما بالحجارة، ولكنهما فعلا ذلك عندما حاول البعض تأليههما. فقد خاف بولس وبرنابا تمجيد الجماهير أكثر من خوفهما من الاضطهاد، وكانا فعلاً على حق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سمعت أخيراً أحد القادة المسيحيين يحكي عن خبث التكبّر في حياته عندما أتى رئيس الإرسالية العام ومعه المدير المباشر، لزيارته في منطقته. فقد أحس بميل للظهور بروحانية عالية. فمثلاً لو أنه كان يقرأ إحدى مجلات الأخبار وحضر رئيساه فإنه كان يخفي مجلة الأخبار ويفتح الكتاب المقدس كي يبدو رجلاً روحياً. إن ذلك يجعله يأمل أن يحظى بتقرير ممتاز. كان يحب أن يعود رئيساه من الزيارة وهما يتغنّيان بحمده. لكن كلمة الله تأمرنا أن نعمل "لا بخدمة العين كمن يرضي الناس، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب" (أفسس ٦: ٦).

يبدو الناس معرضين خصوصاً لخطيئة السعي لتمجيد نفوسهم في ثلاثة مجالات يشتمل كلٌ منها على شيء حسن في ذاته. المجال الأول هو في عطائنا. يحاول أحد القسس مثلاً أن يكسب وكنيسته شهرة عن طريق ميزانية التبشير الضخمة التي قرروها. كما أن مدرِّساً في مدرسة الأحد يحاول التفوّق في عمل صفّه على الصفوف الأخرى في المدرسة لكي يظهر هذا التفوّق في تقرير الكنيسة ويراه الجميع. وقد يتبرّع أحدهم بسخاء ملحوظ لكي يظهر اسمه على لائحة التبرعات أو لكي ينتبه أحد القادة إلى ذلك فيرسل له مذكرة خاصة يثني بها عليه.

قال يسوع: "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوِّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس. الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية" (متى ٦: ١- ٤).

أما المجال الثاني الذي ينبغي فيه على القائد أن يحرص على دوافعه فهو في إنتاجه للرب. إن التقارير الطائفية السنوية التي تتحدث عن نجاح بعض رعاة الكنائس في "زيادة عدد الأعضاء" يمكن أن تكون تقارير مؤذية. فإن الراعي الذي أجاد، يجد نفسه آملاً بأن - حضرة الرئيس- سوف يرى الإحصاءات وتتكون لديه الفكرة. لنذكر هنا أمرين: الأول – أن الله هو الذي يضم المؤمنين إلى الكنيسة "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أعمال ٢: ٤٧). ثانياً – أن التكبّر يؤدي إلى السقوط. وقد سقط داود في الخطيئة عندما عدَّ الشعب. كان يظن أن ذلك سيجلب له السرور فجلب له الحزن. "فجعل الرب وبأ في إسرائيل فسقط من إسرائيل سبعون ألف رجل" (١ أيام ٢١: ١٤).

لقد أرسلنا الرب لنعمل في حقله. ولذا فهو ينتظر منا أن نجتهد في إيصال الرسالة لكي نأتي بكثيرين إلى الملكوت. والأكثر هو الأحسن. إن الله يُسرّ عندما تُستخدم جهودنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بموازرة روح الله فيمتلئ الملكوت بالمؤمنين ويزداد عدد التلاميذ. لكن علينا أن نتأكد من أن عملنا هذا هو "كما للرب ليس للناس".

أما المجال الثالث الذي نتعرَّض فيه للتكبر فهو في خدمتنا للمسيح. قال بولس:

"اخدم الرب بكل تواضع" (أعمال ٢٠: ١٩). كان يخدم الله لا الناس. من السهل أن نقع في خطية التظاهر بالعمل والجهاد بإخلاص عندما نكون في حضرة شخص ذي أهمية وسيثني علينا ويخبر الآخرين عما رآه، لكن نقعد ولا نعمل شيئاً ذا أهمية عندما لا يرانا إلا الناس العاديون.

تشكّل زوجتي لي تحدّياً دائماً من هذه الناحية، إنها مثال ممتاز في كيفية تحضيرها لمائدة الطعام. تحضّر المائدة لنا نحن العائلة تماماً كما تحضّرها لو كان لدينا ضيوف. فقد يتناول معنا الطعام أحد المرسلين أو أحد القادة المسيحيين. إن وجود هؤلاء معنا لا يغيّر من طريقة زوجتي شيئاً. فهي تتبّع الطريقة الأصولية في إعداد المائدة دون أي تغيير، إن كان من جهة الألوان المختلفة أو الملحقات أو من جهة الأواني والأدوات المستعملة. إنها تحضّر المائدة دائماً كما للرب (لا لتكون قدوة لغيرها بل عن قناعة شخصية).

الشعور بالفشل

الخطر الثالث المميت الذي يتعرَّض له القائد هو الشعور بالفشل. الشيطان ماهر في إدخال الفشل إلى النفوس. لقد سقط قادة كثيرون إلى أعماق اليأس. فإن أحوالهم تردَّت. وخططهم لم تنجح، والمنتقدون واصلوا تذكيرهم بعيوبهم. كان لهم أصدقاء يعتمدون عليهم، وإذا ببعض هؤلاء يتنكرون لهم بلا سبب، بل يقومون ضدهم ويهاجمونهم.

كيف يعالج القائد مشكلة كهذه؟ إننا جميعاً نواجه مثل هذا الوضع، ليس أحدٌ معفى. بل ندهش إذ نرى الكتاب المقدس يذكر عدداً من رجال الله علقوا في أحبولة الفشل.

في قصة إيليا نرى الفشل حلّ به رأساً بعد الانتصار العظيم. وهذا أمر معروف. يحدث الانتصار وغالباً يتبعه هبوط عاطفي أو فشل ما. إلتقى إيليا أنبياء البعل على جبل الكرمل فانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً. وكان أنبياء البعل قد صلّوا وجرّحوا أنفسهم بالسكاكين وصاحوا كل النهار فلم يجبهم أحد. البعل لم يسمعهم ومذبحهم ظلَّ بلا نار لتحرق ذبيحتهم. ثم صلى إيليا صلاة الإيمان فدعا الرب ليقبل ذبيحته، فاستجاب الرب بنار أنزلها على الذبيحة فأحرقتها حتى أن الناس الذين شاهدوا ذلك خرُّوا على وجوههم وقالوا "الرب هو الله" (١ ملوك ١٨: ٣٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد هذا أخذت الأوضاع تسوء. لقد علمت الملكة إيزابل بما جرى فغضبت، وأرسلت إلى إيليا تهدّده بالقتل. إذا سخطت امرأة على رجل فذلك صعب، وعلى الأخص إذا كانت المرأة شريرة وذات نفوذ مثل إيزابل. وهكذا خاف إيليا وهرب.

نجد في قصة إيليا أن هناك أربعة دروس نستخلصها من الشعور بالفشل. أولاً، الشعور بالفشل يولّد في الإنسان تقديراً زائفاً للقيم. "ثم سار في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال: قد كفى الآن يا رب، خذ نفسي لأنني لست خيراً من آبائي" (١ ملوك ١٩: ٤). وكأن إيليا أراد أن يقول: "جميعنا سنموت يوماً، إذن ما نفع الحياة ولماذا لا أموت الآن؟ لست أفضل من باقي الناس، وما دمت سأموت يوماً، فليكن الآن". لكن إيليا كان على خطأ. فإنه لم يمت أبداً لأن الله أراد له شيئاً آخر. كانت لله خطة خاصة فيما يخصّ إيليا. مرَّت عدة سنين، وجاء يوم كان إيليا يسير فيه مع اليشع، "وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء" (٢ ملوك ٢: ١١).

ثانياً، يستطيع الشعور بالفشل أن يجعل الإنسان يهرب من مسؤولياته. "ودخل هناك المغارة وبات فيها. وكان كلام الرب إليه يقول له: مالك ههنا يا إيليا" (١ ملوك ١٩: ٩). قد يصل القائد إلى وضع فاشل حتى ليظنَّ، وهو يتطلَّع حوله، أن أحواله قد ساءت جداً، وأن أي تغيير سيكون حتماً أفضل له. وهنا قد يتخلى عن العمل الذي وضعه الله فيه. فإذا يئس واستسلم للفشل، وغدا مفلساً لا فائدة منه للناس الذين يعتمدون عليه لإرشادهم وتوجيههم، فإن الله هنا قد يقترب منه ليقول: "لماذا تفعل هذا؟ إن مكانك هو العمل الذي أعطيتك إياه".

ثالثاً، يجعل الشعور بالفشل الإنسان يضع اللوم على الآخرين كما لو كانوا السبب في فشله. يوجِّه إصبع اللوم إلى الذين حوله ويندِّد بهم على أنهم سبب مشاكله. ماذا قال إيليا؟ "قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" (١ ملوك ١٩: ١). وضع اللوم كله على الشعب.

رابعاً: الشعور بالفشل يجعل القائد يرى الأشياء أضخم كثيراً مما هي. لقد صاح إيليا وقال أنه الرجل الوحيد في كل المملكة الذي بقي أميناً لله. لكن الله قال له: لا. "قد أبقيت في إسرائيل ٧٠٠٠، كل الرُّكب التي لم تَجثُ للبعل وكل فم لم يقبّله" (١ ملوك ١٩: ١٨). كانت الأشياء تبدو لإيليا وكأنها معتمة كئيبة لأنه كان يراها من وهدة الفشل التي تردّى فيها. لكن الواقع كان غير ذلك بالكليّة. لقد كان الوضع أفضل ٧٠٠٠ مرة مما كان يظن.

يستطيع أكثرنا أن يشهد لحقيقة هذا الاختبار. إننا ونحن في وسط المشكلة لا نستطيع أن نرى أي شيء حسناً. لكن من النادر أن تكون الأشياء سيّئة فعلاً كما تبدو لنا في تلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأيام الكئيبة. وعندما ينقشع الضباب وتزول العاصفة نصير نرى بوضوح أكثر، وتبدو الأشياء أفضل مما كانت تبدو بحوالي ٧٠٠٠ مرة.

مرَّ داود أيضاً في اختبار مشابه لهذا. لقد ترك مدينته دون أن يبقي فيها حامية تدافع عنها، وعندما رجع إليها بعد حين وجد أن العمالقة احرقوها بالنار وسبوا جميع النساء والأولاد (١ صموئيل ٣٠: ٣). وماذا كان ردّ فعل داود؟ عمل ككل الناس في مثل هذه الأحوال. "فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم تبقَ لهم قوة للبكاء" (١ صموئيل ٣٠: ٤). وهكذا نجد داود يقع في أحبولة الحزن واليأس.

لكن بعد هذا حدث ما يصعب تصديقه. ذلك أن رجال داود، رفاقه في السلاح الذين اتّبعوه في السرّاء والضرّاء، تآمروا فيما بينهم وهمّوا برجم داود. وهذا الولاء الذي أظهره رجال داود له، الولاء الذي كان داود يعوّل عليه أكثر من أي شيء آخر، بدا وكأنه سينهار دفعة واحدة. لقد خاطر أولئك الرجال أكثر من مرة وعرّضوا أنفسهم للموت من أجل داود. أما الآن فتطلّع داود وإذ بهم يصبحون ضده. شعر داود بأنه أصبح وحيداً.

اضطر داود أن يطلب العون، فتوجّه نحو الشخص الوحيد الذي يظلّ قريباً. "وأما داود فتشدّد بالرب إلهه" (١ صموئيل ٣٠: ٦). سأل الرب إن كان يشير عليه باللحاق بالغزاة. فأجابه: "ألحقهم، فإنك تدرك وتنقذ". وهكذا كان وأنقذ داود ورجاله بعد دحر العمالقة جميع النساء والأولاد "ولم يفقد لهم شيء لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات ولا غنيمة ولا شيء من جميع ما أخذوا لهم بل ردّ داود الجميع" (١ صموئيل ٣٠: ١٩).

مع أن الأوضاع كانت تبدو على أسوأها تبيّن فيما بعد أن الأوضاع كانت على أحسن ما يمكن. أعيدت جميع النساء مع جميع الأولاد ولم يصب أحد بسوء. صحيح أن صقلغ مدينة داود ورجاله قد أحرقت لكن داود لم يعد في حاجة إليها. لقد كانت المملكة في طريق الإعداد ليتسلّمها داود. لقد سقط الملك شاول قتيلاً في المعركة، وبعد وقت قصير سيُستدعَى داود ليدخل القصر ويتسلّم الملك. عندما كانت الأحوال تبدو على أسوأها لم يعرف داود ورجاله الحقيقة غير المنظورة، وإلا لكانوا فرحوا واحتفلوا ورفعوا لله أصوات الحمد بدل أن يبكوا "حتى لم تبقَ لهم قوة للبكاء".

إن الشعور بالفشل كثيراً ما يصل بصاحبه إلى هذه النتيجة. تتضخّم المشاكل كثيراً جداً، وبيوت الخلد الصغيرة تبدو كالجبال الضخمة. إن على القائد في حال كهذه أن يواصل السير بإيمان وينتظر وضوح الصورة. كان الرسول بولس مثالاً في هذا الأمر. فإنه، إذ وصل في رحلاته التبشيرية إلى مدينة فيلبي، واجه المشاكل والفشل عندما ضُرِب بالعصي وسجن. لكن بعد مرور الزمن عندما ذكر ذلك الوضع استطاع أن يقول في رسالته إلى أهل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فيلبي: "أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدُّم الإنجيل" (فيلبي ١: ١٢).

هناك ثلاثة أشياء قد تتسبّب في سقوط القائد وهي: الطمع وشهوة تمجيد الذات، والشعور بالفشل. وكان عدو نفوسنا ولا يزال يستخدم هذه الأشياء في حياة بني البشر منذ سقوط آدم. وليس في طبيعة الإنسان قوة لصدّ هذه الأشياء. والشيطان عدوّنا يعرف كيف يحطّم كل وسائلنا الدفاعية.

لكن الله يريد أن ينقذنا وسينجح إن وضعنا فيه ثقتنا. بعد أن شاخ داود تطلَّع إلى السنين التي اختبر فيها الإنقاذ الإلهي، فبارك الرب أمام الشعب وقال: لك يا رب العظمة والجبروت، والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض، لك يا رب الملك وقد ارتفعت رأساً على الجميع.... والآن يا إلهنا نحمدك ونسبّح اسمك الجليل" (١ أخبار الأيام ٢٩: ١١- ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الحادي عشر

مواجهة احتياجات المجموعة

إن من أهم أهداف القائد المسيحي أن يعمل على تعميق الحياة الروحية في الناس الذين يقودهم. إنهم في حاجة لأن ينموا في النعمة وفي معرفة المسيح، وأن يتقدّموا في الخبرة والدراية في العمل وفي التعمق في الشركة مع الرب. فإن رغبة الله هي أن تظهر في حياة هؤلاء اليومية المزايا الخلفية المسيحية.

في الكتاب المقدس أمثلة عديدة على هذا. من هذه الأمثلة داود ورجاله. فقد أحرز أولئك الرجال بقيادة داود انتصارات متتالية فحافظوا على المملكة من الأعداء. لكن الإنجاز الأعظم الذي صار مع أولئك الرجال كان في حياتهم الشخصية.

كيف كان أولئك الرجال عندما اتصلوا لأول مرة بداود؟ يصفهم الكتاب: "واجتمع إليه كل رجل متضايق، وكل من كان عليه دين، وكل رجل مرّ النفس، فكان عليهم رئيساً، وكان معه نحو أربعمئة رجل" (١ صموئيل ٢٢: ٢).

بعد مرور سنين من مرافقة أولئك الرجال لداود تغيّروا وصاروا رجالاً أشدّاء، ذوي ولاء وشجاعة. يصف الكتاب المقدس أحدهم، وكان اسمه ألعازر، فيقول عنه: "أحد الثلاثة الأبطال الذين كانوا مع داود حينما عيّروا الفلسطينيين الذين اجتمعوا هناك للحرب وصعد رجال إسرائيل. أما هو فأقام وضرب الفلسطينيين حتى كلّت يده ولصقت يده بالسيف وصنع الرب خلاصاً عظيماً في ذلك اليوم ورجع الشعب وراءه للنهب فقط" (٢ صموئيل ٢٣: ٩-١٠).

يلزم بطل لصنع بطل

إن تأثير القادة على زملائهم والعاملين معهم شيء واضح في الكتاب المقدس ويدعو للإهتمام. فمثلاً كم كان عدد الأبطال في جيش الملك شاول؟ لم يكن واحد. وعندما تحدّى جليات الجبار جيوش الله ارتعدوا من الخوف (انظر ١ صموئيل ١٧: ١١). أما داود، الذي ذهب حاملاً الطعام إلى إخوته في جيش شاول، رأى حيرة الملك شاول ورجاله. ففكّر في الوضع، وخرج بإيمان وقتل الجبّار.

وداود قاتل الجبار صار بعد هذا ملكاً وله جيش. كم كان في ذلك الجيش من الأبطال قاتلي الجبابرة؟ كانوا عدداً لا بأس به. كان وجودهم شيئاً عادياً في الجيش بقيادة داود.
"حينئذ سبكاي الحوشي قتل سفّاي من أولاد رافا فذلّوا.... ثم كانت أيضاً حرب في جت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

وكان رجل طويل القامة أعنش أصابعه أربعٌ وعشرون وهو أيضاً وُلد لرافا. ولما عيّر إسرائيل ضربه يهوناثان بن شمعا أخي داود. هؤلاء ولدوا لرافا في جت وسقطوا بيد داود وبيد عبيده" (١ أخبار الأيام ٢٠: ٤- ٨).

لماذا تظن السبب في عدم وجود أبطال قاتلي جبابرة في جيش شاول؟ هناك سبب أنا واثق منه وهو أن شاول نفسه لم يكن بطلاً. لكن تحت قيادة داود كثر عدد الأبطال. لماذا؟ لأن داود كان بطلاً. نرى هنا مبدأ للقيادة، مبدأ يتخلل الكتاب المقدس كله. "يلزم بطل لصنع بطل".

كانت وصية المسيح الأخيرة "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم". طبعاً لم يُعطِ الرب هذه الوصية للجموع بل أعطاها للأحد عشر، أي تلاميذه. لماذا؟ لأنه يلزم بطل لصنع بطل. لذلك إن كنت تأمل أن ترى تلاميذ المسيح ينشأون تحت رعايتك ويكونون أقوياء مكرّسين فيجب أن تكون أنت أولاً التلميذ القويّ المكرَّس. لأنه يلزم تلميذ مكرّس لصنع تلميذ مكرّس.

سنتكلم على هذا أكثر فيما بعد. يكفي الآن أن نسأل: كيف نقوم بهذا العمل؟ ماذا نفعل كي نرى رجالاً ونساء يتكرّسون ليخدموا الله.

سوف ترى وأنت تقود مجموعة من المؤمنين أن ليس لجميعهم الرغبة ذاتها في التكريس والتشوّق للنموّ. تلاحظ أن للبعض رغبة في تكريس ذواتهم أكثر مما للآخرين. إن هذا يتطلب منك أن تجد طريقة لإثارة الاهتمام والدافع في كل شخص على أن تساعد في الوقت ذاته الأفراد الملتهبين غيرة لكي ينموا إلى أعلى ما يمكنهم. أريد أن أقترح هنا برنامجاً مؤلفاً من نقطتين:

مجموعات الدراسة التطوّعية

أولاً، رتّب أن تجتمع مجموعة تطوّع بشكل خاص لدرس الكتاب المقدس والصلاة. لقد وجدت أن برنامجاً كهذا هو ذو قيمة رفيعة. فيما يلي ملاحظات بسيطة قد تساعدك لتبدأ بالعمل مع المجموعة.

إذا لاحظت أن لدى البعض جوعاً واهتماماً اتّصل بهم شخصياً واقترح أن يحضروا اجتماعاً لدرس الكتاب المقدس والصلاة في ساعة مبكّرة من أحد الأيام في كل أسبوع.

إن للاجتماع في ساعة مبكّرة صباحاً فائدتين. الفائدة الأولى أنه يُغني عن استخدام إحدى الأمسيات. فالناس عموماً لا يحبّون أن يخسروا مساءً إضافياً. فقد يحبون قضاءه مع عائلاتهم إذ تبعدهم أشغالهم عن البيت في كثير من الأيام. أما الفائدة الثانية فهي أن في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الاجتماع في الصباح الباكر يكون الفكر مستريحاً فيكون تركيز في الدرس والصلاة أفضل مما لو كان الاجتماع بعد عناء النهار. إن المؤمن المكرّس هو الذي لا يصعب عليه أن يخصّص للعبادة ساعتين في يوم من كل أسبوع. بعد أن يتعهد ثلاثة أو أربعة بالحضور أعلن عن درس الكتاب الخاص هذا لباقي الجماعة. ادعُ كل واحد يرغب في الحضور. بعد هذا لا يبقى سبب ليظن البعض أنك مهتم بأفراد معينين دون سواهم. لتكن دعوتك "ليأت واحد، ليأت الكل، أهلاً وسهلاً بالجميع."

في الواقع ستتعجّب من حضور البعض الذين لم تتوقع حضورهم. فكثيراً ما تتّقد جمرة في أعماق نفس بينما لا يظهر من ذلك غير القليل. قل لهم أن القاعدة أو الخطة التي سيسير عليها الاجتماع سيتّخذ قرارٌ بها في اجتماع للإفطار الأسبوع القادم. إن ذلك أمرٌ هام، إذ لا بدّ من البحث معاً والتصميم على الكيفية التي سيجري بها الاجتماع، وطبعاً سيكون ذلك ضمن إطار مبادئ عملية تضعها لهم بشكل يتفق مع أهدافك.

عند الاجتماع بالمؤمنين وتناول الفطور معاً ابدأ بإطلاعهم على الغاية التي تحملها في فكرك. يمكنك أن تذكر بضع آيات مختارة تساعد على إيضاح بعض الأهداف المعيّنة، كما أن كلمتك تكتسب قوة وسلطاناً. سأورد فيما يلي بعض المقاطع التي وجدتها مفيدة. وكنت قد قدّمت بعضاً منها لمجموعات مختلفة، وطبعاً ذلك يعتمد على مستوى النضج والاهتمام لدى تلك المجموعات.

رومية ٨: ٢٩: "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا متشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين". الهدف: أن نصبح أكثر شبهاً بيسوع.

يوحنا ٥: ٣٩ "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي". الهدف: أن نتعلّم أكثر عن يسوع.

أعمال ٢٠: ٣٢ "والآن استودعكم يا أخوتي لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدَّسين". الهدف: كي نُبنى في كلمة الله.

متى ٩: ٣٦، ٣٨ "ولما رأى الجموع تحنّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه: الحصاد كثيرٌ ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من ربّ الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده". الهدف: قضاء وقت الصلاة كي يرسل فعلة للحصاد في حقول العالم.

مزامير ١١٩: ٩، ١١ "بِمَ يزكي الشباب طريقَه؟ بحفظِهِ إياه حسب كلامك. خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك". الهدف: حفظ الكتاب المقدس –لتكون لنا حياة نظيفة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مزامير ١١٩: ١٠٥ "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي". الهدف: تطبيق الكتاب المقدس بصفته نوراً وسراجاً – لنسترشد به.

ارميا ٣٣: ٣ "ادعني فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها". الهدف: الصلاة من أجل احتياجات معيّنة في حياتنا.

عبرانيين ١١: ٦ "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه. لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يُجازي الذين يطلبونه". الهدف: تعميق إيماننا.

انتخب برنامجاً لدراسة الكتاب المقدس كي تستعمله المجموعة. هناك برنامج قد استعمل بفائدة كبيرة لعدد كبير من المجموعات حول العالم وهو "تخطيط التلمذة". إنه مجموعة من ٦ كتيبات لبرنامج دراسة الكتاب المقدس موضَّح لاستعمال المجموعات أو الأفراد. ويمكن طلبه والحصول عليه من "الملاحين" ص. ب. ١٦٥٩ كولورادو سبرنغر كولو ٨٠٩٠١، الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أنه هناك الكثير من كتب الأدلّة لدراسة الكتاب المقدس في المكتبات المسيحيّة وهذه لائحة ببعضها.

الطرق الرابحة- بقلمي أنا. ويمكن استعماله لدراسة تقديم الشهادة. التلامذة يُصنعون ولا يُولدون- بقلم والت هنريكسون.

اعرف لماذا تؤمن واعرف بماذا تؤمن- بقلم بول ليتل.

ماذا قال يسوع عن ذلك- بقلم ستانلي سي بلدوين.

عيّن إصحاحاً للبحث في الأسبوع التالي، وليقم كل واحد بدراسة هذا الإصحاح قبل الحضور إلى اجتماع المجموعة. إن هذا يضمن أن يكون اجتماعكم حيوياً عندما تجتمعون للدرس. ربما تحب أن تتصل تلفونياً بأفراد المجموعة في خلال الأسبوع لترى كيف يعمل كل منهم فيما يختص بالدرس. فإن اتصالك بهم على هذا النحو والصلاة من أجلهم في مخدعك سيؤدّيان بمعونة الله إلى إثارة الإخلاص والرغبة الروحية فيهم.

وعندما تجتمع بهم خصّص وقتاً كافياً للصلاة. كنت أقود مجموعة في اجتماع صباحيّ مبكّر مرة كل أسبوع، واستمرّ ذلك طوال سنة، وكان من الأهداف فيه تقديم الشهادة الشخصية بقوة. إن هذا جعلنا نصلي في موضوع التبشير. وكنا نركّز في وقت الصلاة على المقاطع التالية:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كولوسي ٤: ٢- ٤: "واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر، مصلّين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً ليفتح الرب لنا باباً للكلام لنتكلم بسرّ المسيح الذي من أجله أنا موثقٌ أيضاً كي أظهره كما يجب أن أتكلم". في هذا المقطع يصلي بولس طالباً أن يفتح له الرب باباً ليتكلم بسرّ المسيح. وفي المجموعة كتبنا قائمة بأسماء أشخاص، وصرنا نصلي ليهيئ لنا الرب فرصة لنشهد لهم. لقد صار أولئك مواضيع صلواتنا الشخصية اليومية كما في صلوات المجموعة.

أعمال ١٦: ١٤: يتكلم كاتب أعمال الرسل عن ليديا فيقول "ففتح الرب قلبها لتصغي". كتبنا قائمة بأسماء الذين شهدنا لهم والذين أظهروا اهتماماً وصلينا طالبين أن يفتح الرب قلوبهم.

كولوسي ١: ٩- ١٠: " من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضىً مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله". كتبنا قائمة بأسماء الذين قبلوا المسيح مخلّصاً لهم عن طريق سماعهم الشهادة منا، وصرنا نصلي لأجل نموّهم ونضجهم في المسيح.

متى ٩: ٣٦- ٣٨ " ولما رأى الجموع تحنّن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه: الحصاد كثير ولكن الفَعَلة قليلون. فاطلبوا من ربّ الحصاد أن يرسل فعلةً إلى حصاده". هنا لم نكتب أيّة قائمة ولكننا صلينا ليقيم الرب فعَلة وسطنا. وأريد القول أن ثلاثة من بين الخمسة الذين منهم تشكلت المجموعة هم اليوم يخدمون الرب كمرسلين- في الأرجنتين واندونيسيا، ولبنان.

إذا كان لدى المجموعة رغبة في تعلّم كلمة الله فيمكن اتّباع خطّة لحفظ الآيات غيباً. قرّر كم عدد الآيات التي تريد أن يجري استظهارها كل أسبوع، وابذل حوالي خمس دقائق من وقتك مع المجموعة لكي تسمّعوا الواحد للآخر تلك الآيات التي تحفظونها. يمكن أن تقسموا المجموعة اثنين اثنين حتى أن كل واحد يسمّع آيته لرفيقه. أحفظ المرجع، أي السفر والإصحاح والآية، مع حفظك الآية نفسها، وابذل كل جهد ليكون هذا كاملاً بلا خطأ. أَعَدَّ "الملاحون" ما يسمى "نظام حفظ الآيات الموضوعي للملاحين" ويستعمله المؤمنون في كل أنحاء العالم. يمكن الحصول عليه من الملاحين.

وقت شخصي

النقطة الثانية في برنامجك لجعل المهتمّين في المجموعة ينمون نحو النضج الروحي هي مشابهة للنقطة الأولى ولكنها أكثر تركيزاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كانت النقطة الأولى ترتيب مجموعة دراسية طوعية لدرس الكتاب المقدس والصلاة. وبعد أن درست مع أفراد المجموعة لبضعة أشهر لابدّ أنه اتضح لك أن واحداً أو اثنين من المجموعة ينمون أسرع من الباقين ولهم جوع روحي أعظم. إن هذا ما كنت تنتظره. فإن الله يعدّ هؤلاء القليلين المهتمين ليستخدمهم في ملكوته. كلّم هؤلاء شخصياً واسألهم أن يجتمعوا معك على أساس فردي شخصي، أي واحد لواحد، للقيام بتدريب خاص. أخبر من تجتمع به عن الرغبة في تناول طعام الغداء معه لتفسر بوضوح وبشكل كامل الفكرة التي لديك.

لقد كلّمني الله عن هذه الناحية من خدمة قيادة الآخرين وذلك عن طريق الآية في أشعياء ٥٨: ١٠ "إن أنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة يُشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر". عندما أرى شخصاً يحسّ بجوع خاص ليتعلّم آيات الكتاب المقدس وينمو في النعمة أجد أن عليّ أن أقدم نفسي لأخدمه فيمرّ في تلك الأشياء التي مررت بها فيتعلّمها.

تكلّم بولس عن هذا أيضاً عندما قال: "أنتم شهود والله كيف بطهارة وببرّ وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين، كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجّعكم" (١ تسالونيكي ٢: ١٠- ١١).

لاحظوا عبارة "الأب لأولاده"، كيف يعلّم الأب أولاده؟ يعلّمهم دائماً على أساس فردي، أي كل واحد بمفرده. إن ابنتي التي هي في الثالثة والعشرين من عمرها لها اهتمامات وحاجات تختلف تماماً عن تلك التي لابني الذي هو في السابعة عشرة من عمره. عليّ أن أخصّص وقتاً أمضيه مع كل واحد من ولديّ هذين كي أبحث معه الشؤون التي يواجهها في حياته في الوقت الحاضر.

إن الفكرة القائلة بأن على القائد أن يمضي وقتاً بشكل شخصي مع الفرد الذي عليه الاعتماد عليه في المجموعة لهي فكرة قديمة قدم فكرة القيادة ذاتها. صلى موسى فطلب من الله رجلاً يصبح فيما بعد خليفته. "فكلّم موسى الرب قائلاً: ليوكّل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها" (عدد ٢٧: ١٥- ١٧).

وقال الرب لموسى فيما بعد: "وأما يشوع فأوصِهِ وشدّده وشجّعه لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التي تراها" (تثنية ٣: ٢٨). لاحظوا أن الله طلب من موسى أن يوصي يشوع ويشدّده ويشجّعه. إن هذه خدمة رجل لرجل. عند مقارنة تعليمات الرب لموسى هنا بما جاء في ١ تسالونيكي ٢: ١١ (نعظ ونشجّع ونُشهد)، وما جاء في ١ كورنثوس ١٤: ٣ (بنيان ووعظ وتسلية)، يتكون لدينا مثال جميل لما يجب أن يعمله القائد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نستطيع أن نسترشد بهذا فيما يجب أن نعمله مع من نجتمع بهم في شكل فردي. أريد ذكر أربعة أشياء تتعلق بذلك:

١- بنيان: قدّم لرفيقك أشياء تبنيه وتقوّيه في الإيمان. ليكن تدريبك إياه إيجابياً. خذ الأشياء التي هو قويّ فيها وأضف إليها. شجّعه لينمّي مواهبه.

٢- وعظ: إن هذا يعني أنك من حين إلى حين توجّه انتباه صاحبك إلى نواحٍ في حياته لتقويمها بموجب كلمة الله.

٣- تعزية، تسلية: ساعده ليتغلّب على الأشياء التي تضايقه، إن كان خوفاً أو حزناً أو حيرة. شجّعه لينهض من كبْوَتِهِ. ساعده كي يستطيع مواجهة مشاكله.

٤- تكليف، إشهاد، إيصاء (من كلّف وأشهد وأوصى): كلفه بالقيام بمشاريع خاصة التي تسدّ حاجات في حياته أو تبني مواهبه وقدراته. تعرّف بكتيّبات تعبديّة وكتب أدلة التي يمكنك أن تعطيه إياها وتوصيهِ ليقرأها ويتعلّم منها ثم تبحث معه عنها فيما بعد.

إن حياة هذا الشخص لا شك ستتأثَّر بحياتك بقدر كبير. ثم يحدث شيء آخر. فسوف يلاحظ آخرون في المجموعة نمو هذا الشخص وتكريسه للرب ومعرفته المتزايدة للكتاب المقدس. وسيشعرون بجوع روحي ورغبة في الحصول على ما حصل عليه الأخ المذكور.

دعيت قبل بضع سنين لحمل مسؤولية مجموعة من الشبيبة كانت تجتمع في الكنيسة مساء كل أحد. بدأت بإخبارهم عن مبادئ النمو الروحي والنضج المسيحي.

وبعد حوالي شهرين صار لدى شاب اسمه "جَري" جوع حقيقي لأُمور الله. فكان يدعوني إلى ناحية من وقت لآخر ويوجّه إليّ أسئلة، فتبيّن أن قلبه كان متأثراً جداً بالنسبة للرب.

اقترحت على جري أن نجتمع للصلاة ولدرس الكتاب المقدس كل صباح أحد قبل موعد مدرسة الأحد. كانت عليه مهمّة يقوم بها (إيصال جريدة صباحية إلى أصحابها) وكان ينتهي منها حوالي الثامنة والنصف، وهذا كان الوقت الذي رتّبناه لاجتماعنا. شجعته على دراسة خاصة للكتاب المقدس وعلى خطة لحفظ الآيات غيباً، وبدأ بتمضية فترة تأمل فردي يومياً مع الرب.

لقد تقدّم جري بسرعة، ولاحظ نموّه عدد من أفراد الصف وصاروا يتساءلون عما يحدث في حياة جري. وعندما أوضحت ما كان يجري أبدى البعض الرغبة في عمل ما عمله زميلهم. ولم يمض وقت طويل حتى صارت لدينا مجموعة قوية من الشبان الذين كانوا يتحلّون بالكثير من مميّزات التلمذة الحقيقية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد ساعد جري شاباً آخر، وتضاعف العدد مرات ومرات في المجموعة. إن الفكرة التي نحن بصددها ضمّنها بولس عندما كتب في ٢ تيموثاوس ٢ "وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضاً". فكان التعليم الذي انتقل من بولس إلى تيموثاوس يراد له أن يواصل الانتقال إلى أناس أمناء يكونون أكفاء ليوصلوه إلى آخرين أيضاً.

عندما أبدأ بالاجتماع بشخص لأُدرّبه في الحياة المسيحية المنتصرة وأشجّعه ليرشد آخرين فهل أفرح عندما يخبرني يوماً أنه أرشد شخصاً إلى طريق الخلاص؟

لا. إني أفرح ولكن لا أكتفي. أحب أن صديقي هذا يواصل اتّصاله بصاحبه ذاك حتى يستخدمه الله هو أيضاً ليرشد شخصاً ثالثاً إلى المسيح. هل هذا الآن يكفيني؟

لا، بل أحب أن ذلك الثالث بدوره ينجح بإرشاد رابع إلى المسيح.

هل أكتفي الآن؟ نعم. لأني أجد أن لديّ ما يثبت أن ذلك الذي أرشدته في البداية قد تبنى الفكرة الصحيحة وأخذ يطبّقها.

أريد أن أقدّم مثلاً. لنفترض أني ساعدت "ناجي" في حياته المسيحية وناجي هو بدوره قاد صديقاً له اسمه يوسف إلى المسيح. أنا عالمٌ الآن أن ناجي قد نضج حتى أنه أتى بشاب إلى المسيح، ولكني لا أعرف إن كان ناجي سيواصل العمل مع يوسف وسيتمكّن من مواصلة تقديم الإرشاد له.

سأبقى في شكّي من جهة ناجي إلى أن أراه يدرّب يوسف على الإتيان بالآخرين إلى المسيح ومواصلة العمل معهم حتى هؤلاء أيضاً يذهبون ويعملون العمل ذاته. وهكذا عندما أرى يوسف يقصّ على ناجي كيف قاد شخصاً إلى المسيح أشعر بالاطمئنان إلى أن تدريبي لناجي كان تدريباً ناجحاً.

في هذه الحال نرى العملية المسيحية قد سارت من لروي إلى ناجي إلى يوسف إلى سامي وهكذا. وعندما أرى سامي وكيف يؤمن ويعمل بالفكرة ذاتها أتأكد أكثر أن عملي مع ناجي كان ناجحاً. إن كنت تقدر أن تدرك الفكرة فإن عملك كقائد يُنتج أكثر مما يخطر لك حتى في الأحلام. تأمل من جديد في الآية ٢ تيموثاوس ٢: ٢. اطلب من الله في الصلاة أن يضاعف حياتك في الآخرين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني عشر

الاتصال

إن إيصال كلمة الحق إلى الناس جزء هامّ في عمل القائد. إنه يقف كثيراً أمام سامعيه ليكلّمهم. عليه أن يقدّم إعلانات ويعلّم الدروس، ويقدّم المتكلمين للجمهور، ويلقى عظات قصيرة. فهو في كل من هذه الأوضاع يُطلب منه أن يقول شيئاً، أن يوصل الكلمة إلى سامعيه.

كيف تقوم بالاستعداد؟ ماذا تفعل لتجميع أفكارك ولتعطي سامعيك حقائق واضحة؟ هل من قواعد يمكن إتباعها كي تبلغ الهدف؟ اسمح لي أن أبدأ بذكر اختبار شخصي.

كنت أسير مع زوجتي يوماً في أحد شوارع بلدة صغيرة في ولاية أيوا قبل حوالي عشرين سنة وكان ذلك صباح يوم أحد. كنت أعمل يومها في السكة الحديدية، وكان عملي يقضي بأن أنتقل من مدينة إلى أخرى على خط السكة بعيداً عن بيتي. وكانت زوجتي قد جاءت إليّ لنمضي معاً عطلة الأسبوع. كنا نسير بلا هدف في الطريق وفجأة سمعنا صوت جرس إحدى الكنائس

قلت وأنا أضحك: "لنذهب إلى الكنيسة".

استغربت زوجتي الاقتراح، إذ كنا غريبين هناك ولا نعرف أيّة كنيسة أو من يصلي فيها. وإذ كان لا يزال وقت لتناول طعام الغداء، ولا شيء علينا أن نفعله، اتفقنا فذهبنا إلى كنيسة قريبة من هناك.

دخلنا وجلسنا، وكنا نتساءل: كيف ستجري العبادة وماذا سنسمع ونرى؟ لقد جرى ما لم يخطر لنا وما سنذكره مدى الحياة. عندما بدأ الواعظ يلقي رسالته من على المنبر أثارت كلماته اهتمامنا الشديد. لم ننتبه للموضوع الذي بحث فيه ولكننا تأثرنا كثيراً بالكيفية التي عالج بها موضوعه. كان أمامنا والواعظ يتكلم أمران اثنان: كان يعرف تماماً الموضوع الذي يبحث فيه، ثم كان يعني ما يقوله.

كنت وزوجتي قد دخلنا كنائس قبل ذلك الحين وسمعنا عدة عظات. لكن كان واعظ هذه الكنيسة الأول الذي وجدنا أنه يتحلّى بالصفتين المذكورتين. كان بعض الذين سمعناهم من قبل يعرفون موضوعهم جيداً ولكنهم لم يتكلموا بقناعة وقوة وكأنهم لم يعنوا كل ما قالوه. بينما كان البعض الآخر يتكلمون وهم يعنون ما يقولونه لكنهم لم يكونوا يعرفون موضوعهم بإتقان.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ماذا يهم عند الكلام

عندما كنت أتذكَّر صباح ذلك الأحد عبر السنين كنت أرى بتأكيد أن هناك شرطين لا غنى عنهما عند الكلام أمام الجمهور.

أولاً، اعرف موضوعك. لكي يشعر سامعوك بالثّقة وأنت تكلّمهم من الضروري أن تحضّر كلمتك بعد القيام بالدراسة اللازمة. قم بما يجب القيام به مسبقاً. فعندما يحسّ جمهورك بأنك تتكلم في موضوع تعرفه وتتقنه، وأنك إنما تقدم لهم جزءاً يسيراً من الكثير الذي تعرفه في ذلك الموضوع، فإنهم سيشعرون بالثقة والارتياح ويؤمنون بما تقوله لهم.

ثانياً، قل وأنت تعني ما تقوله. بالطبع، إن كنت تعرف موضوعك جيداً فإنك ستقدّمه وأنت تعنيه تماماً. الأول يؤدي إلى الثاني يجب أن تكون أنت مقتنعاً أولاً قبل أن تتمكّن من إقناع الآخرين. كان هذا واحداً مما تميّز به تعليم يسوع. فقد قالوا عنه أنه "كان يعلّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (متى ٧: ٢٩). كان الكتبة يعلّمون كما لو كانوا طالباً يسمّع درسه لمعلّمه، أما يسوع فكان يتكلّم بسلطان وقناعة أدهشت سامعيه.

وتشهد لهذه الحقيقة حادثة أخرى وردت في سفر أعمال الرسل. كان بولس وبرنابا يخدمان الكلمة في مدينة أيقونية ومكتوب أنهما " دخلا معاً إلى مجمع اليهود وتكلّما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانين" (أعمال ١٤: ١). ومما يلفت أن العبارة "وتكلّما حتى آمن جمهور كثير" لها معنى أعظم مما يبدو للوهلة الأولى. فقد وردت في الترجمة الكاثوليكية الحديثة (للأبوين صبحي حموي ويوسف قوشاقجي، ١٩٦٩) كما يلي: "وأخذا يتكلّمان كلاماً جعل جمعاً كبيراً... يؤمنون". ووردت العبارة نفسها في الترجمة العربية الجديدة لجمعية الكتاب المقدس، ١٩٧٨ كما يلي: "وتكلّما كلاماً جعل كثيراً... يؤمنون".

فكر بهذه الكلمات وتكلّما حتى أو تكلّما كلاماً جعل. بصراحة، لم أكن ألاحظ المغزى في كلمة "حتى" مع أني قرأت هذا الفصل مرات كثيرة. ولكن من الواضح أن الرسولين تكلّما في شكل مؤثّر جعل سامعيهم يؤمنون. كان مهمّاً ما قاله بولس وبرنابا، كان مهماً أيضاً كيف قالاه.

إن الروح القدس ينبّه أفكارنا إلى أن الطريقة التي بها نؤدي الرسالة لها تأثير في مدى قبول السامعين لها. عندما يلقي شخص كلمة بطريقة رتيبة آلية فإن سامعيه يميلون لأن يناموا. إن الواعظ الذي سمعته في تلك الكنيسة قبل عشرين سنة كان مؤثراً، فقد استحوذ على انتباهي لقد كان يعرف موضوعه جيداً وكان يعني كل كلمة تكلّم بها.

ماذا تحتويه الرسائل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد تقول: حسناً، قد اقتنعت. لكن كيف أُحضّر عظة تثير اهتمام من يسمعها وتأتي بنتيجة؟ لقد تعلّمت من إصغائي للعديد من الوعاظ الناجحين أن هناك أمرين:

الأول، قدّم الكلمة. والتشديد هنا على الكلمة. لا يكفي أن يكون كلامك مستنداً إلى الكتاب المقدس، بل ليكن من الكتاب بالذات. فبينما تدخل كلمة الكتاب في عظتك من البدء حتى النهاية فإن ذلك يُكسب رسالتك طعماً وحيوية وقوة. الروح القدس كسيف (انظر أفسس ٦: ١٧) يوبّخ الضمائر ويفحص أعماق القلوب. "لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدّين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" (عبرانيين ٤: ١٢).

إنّ الروح القدس يستخدم الكلمة ليحطّم كل جدار يقف عقبة ضد الطاعة والإيمان. "أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تحطّم الصخر" (ارميا ٢٣: ٢٩). إذن اهتم بأن تتضمّن كلمتك بسخاء آيات من كلمة الله.

الثاني، استخدم أمثلة أو قصصاً. تلك كانت الطريقة التي استخدمها يسوع. استخدم أمثلة. كان يسوع خير من قصّ القصص.

"لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان".

"هوذا الزارع قد خرج ليزرع".

"أيّة امرأة لها عشرة دراهم..."

"إنسان كان له ابنان.."

"يشبه ملكوت السماوات..."

لتكن القصة أو المثل الذي تستخدمه وسيلة لإفهام السامعين النقطة التي تقدّمها أو الآية التي تستخدمها.

طُلب مني مؤخراً أن أتكلم في موضوع كيف ندخل كلمة الله في حياتنا، فكانت إحدى النقاط أن علينا أن نتعلم كيف نتأمَّل في الآية: "كم أَحببت شريعتك. اليوم كله هي لهجي" (مزمور ١١٩: ٩٧). وقدَّمت هذا المثل:

لو جئت إلى بيتنا لتزورنا في المساء فقد نجلس ونتكلّم قليلاً، ثم قد أسألك إن كنت تحب أن ترى باقي أقسام البيت. فتنزل لرؤية القسم الأرضي. وقد لا أضيء المصباح الكهربائي، وأكتفي بدلاً من ذلك بإعطائك شمعة صغيرة مضاءة، وأتركك تجوب القسم

 All rights reserved © 2008-2018

الأرضي وأنت تحمل تلك الشمعة. وبعد أن تنتقل في الظلام من غرفة إلى أخرى تصعد أخيراً إلى الطابق العلوي.

هناك ألتقي بك وأسألك: ماذا رأيت؟

فتجيب: رأيت غرفة فيها طاولة لكرة الطاولة. وأخرى للعائلة، وغرفة ثالثة للنوم في آخر الممشى، ورابعة وقد بدت كأنها غرفة مطالعة أو مكتبة.

فأقول لك: حسناً، هذا هو بيتنا في الطابق الأرضي.

ثم بعد هذا ننزل نحن الاثنين معاً فأضيء جميع المصابيح الكهربائية. ندخل غرفة العائلة ونجلس ونتأمل في جوانبها. وحالاً يتبيّن أن فنياً ماهراً نسَّق هذه الغرفة وجمَّلها. فإنك سترى التوازن الدقيق في الألوان والأثاث. سترى أن اللوحات والصور المعلّقة على الجدران موزَّعة ومرتَّبة بشكل ينسجم مع الألوان في البساط والأثاث.

وأسأل الزائر: ألم ترَ غرفة العائلة على ضوء الشمعة؟

الجواب: نعم، رأيتها.

السؤال: لكن هل رأيتها كما هي في الحقيقة؟

لا. لقد رأيتها حقاً بعدما أضأنا المصابيح، وجلسنا، وأمضينا وقتاً في التأمل في جوانبها فأخذ جمالها يظهر لنا.

إن هذا يمثّل الفرق بين قراءة الكلمة والتأمُّل فيها. إن قراءة الكلمة كثيراً ما يكون كالسير بسرعة في أقسام البيت على ضوء شمعة والنظر الخاطف هنا وهناك ورؤية هذا وذاك. إلا أن غنى الكلمة- عمقها وجمالها وروعتها وجلالها- لا يبدو لنا إلا إذا قصدنا إلى تمضية وقت معها والتأمل فيها ورؤية مختلف جوانبها وإعطاء الروح القدس الفرصة ليكشف لنا مكنوناتها.

هذا، إذن، كان الأسلوب الذي اتَّبعته:

١- اذكر النقطة: تأمل في الكلمة

٢- اذكر الآية: مزمور ١١٩: ٩٧.

٣- قدّم المثل: مثل الشمعة الصغيرة- لتبيّن الفرق بين القراءة والتأمُّل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذا كانت لديك عظة مؤلفة من ثلاث أو أربع نقاط فإنك تقدر أن تتّبع الأسلوب ذاته في كل نقطة. فبعد أن تبدأ بمقدّمة لموضوعك تقدّم النقاط الواحدة بعد الأخرى. فمثلاً:

كيف نملأ حياتنا بالكلمة

١- ادرس الكلمة

(١) الآيات- أمثال ٢: ١ – ٥ وأعمال ١٧: ١١

(٢) المثل- إن من يبحث في الأرض عن كنز يجب عليه أن يحفر عميقاً، فالكنوز لا تكون مخبأة في أمكنة قريبة من السطح.

٢- احفظ الكلمة

(١) الآيات- كولوسي ٣: ١٦، أمثال ٧: ١- ٣، تثنية ٦: ٦- ٧.

(٢) المثل- عندما وقع عدد من المؤمنين أسرى في الحرب الفيتنامية، وكانوا يحفظون آيات كثيرة من الكتاب المقدس غيباً، ساعدهم ذلك على رفع معنويّاتهم وهم يحتملون آلام الأسر في زنزانات هانوي، فصبروا وساعدوا غيرهم على الصبر والاحتمال.

٣- تأمَّل في الكلمة

(١) الآيات- مزمور ١١٩: ٩٧، مزمور ١: ٢- ٣، يشوع ١: ٨.

(٢) المثل- مثل الشمعة الصغيرة.

٤- التطبيق الختامي

اذكر طريقة لحفظ الآيات أو لدرس الكتاب المقدس التي يمكن للسامعين أن يتَّبعوها وحدهم يوماً بعد يوم.

لاحظ أن آيات الكتاب تحتل الوسط في العظة. كلمة الله هي المركز. أما القصة أو المثل فيضيفان إلى الرسالة شيئاً كالشرارة أو الإنارة. وفي النهاية يبيّن التطبيق العملي للسامعين كيف يمكنهم العمل بما سمعوا. استخدم هذا الأسلوب كلما قدَّمت عظة أو رسالة. كثيراً ما نسمع عظات مؤثرة تجعلنا نتوق للعمل، لكن بعض الوعاظ يقفون في كلامهم عند هذا الحد ولا يخبروننا كيف نعمل. إن على القائد أن يكون عملياً ودائماً يبيّن الكيفية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعندما تستخدم قصة أو مثلاً اختر شيئاً له علاقة بسامعيك. فإن المزارع الذي يعيش في منطقة زراعية يرى الأمور بشكل مختلف عما يراها الذي يعمل في أحد المصانع. إن كل واحد منا يختلف عن الآخر، وكذلك المناطق.

وقعت في خطأ من هذا النوع عندما كنت أتكلم في سنغافورة. يومها قصصت على السامعين قصة رجلين كانا يستقلان سيارة في ولاية نيفادا الأميركية وعلقا في عاصفة ثلجية وجليد، وكادا يتجمّدان من البرد. لكن السامعين لم يسمعوا بتلك البقعة من العالم، ولا رأوا ثلجاً قط، ولا يستطيعون تصوّر إنسان يتجمّد من شدة البرد. في بلد حار كمدينة سنغافورة كان أفضل كثيراً لو أني قصصت قصة الفتيان الثلاثة الذين طرحوا في أتون النار وأنقذهم الله من الموت حرقاً.

التغلّب على الاضطراب النفسي

هناك صعوبة كبيرة يواجهها كل من يتكلم أمام جمهور، وتلك هي الشعور بالاضطراب والتهيُّب. أنا نفسي أحسّ بهذه الصعوبة. فعندما أقدّم شهادتي لشخص أو أمام جماعة أحسّ عادة بجفاف في حلقي، بينما يتصبّب العرق من يديّ. وكم أفضّل لو أن حلقي يترطّب في وضع كهذا تبقى يداي جافّتين. وإني أتعزّى وأتشجّع في مواجهة هذه المشكلة إذ أتذكّر ما قاله بطرس: "وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا، بل قدّسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف" (١بطرس ٣: ١٥).

لاحظ كلمات بطرس "بوداعة وخوف". فإذا شعرت وأنت تقدّم شهادتك ببعض الخوف فافرح. إنك في الوضع الصحيح. لو كان الله يريد أن نؤدي الشهادة ونتكلم بكلمته بخفّة ولدينا الشعور بالارتياح التام والاعتماد على أنفسنا وقدرتنا لقال لنا ذلك. أما إذا شعرنا ونحن نشهد بأن داخلنا ينقبض، وأيدينا ترتجف، وركبنا تصطكّ، وحناجرنا تجف، فذلك ما نشعر به عادة ونحن على ركبنا ساجدين أمام الله وطالبين نعمته وقوته. ذلك هو الوضع الذي يقدر فيه أن يستخدمنا.

"فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح. لذلك أُسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي" (٢ كورنثوس ١٢: ٩- ١٠).

يحدث كثيراً أن أقف لأتكلم أمام جمهور مشاكس. قد يكون المستمعون طلاباً في قاعة نومهم في الكلية أو في غرفة الصف أو في اجتماع لإتحاد الطلبة. وبعض الطلاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يحضرون اجتماعاً كهذا ليثبتوا لي أني على خطأ، وواضح أنهم يعارضون رسالة الإنجيل. والمتكلم في موقف كهذا يشعر بالاضطراب النفسي. لقد تعلمت من خلال الصعوبات شيئين ساعداني للتغلب على الاضطراب النفسي.

أولاً، عندما تقدّم رسالتك وتكون الرسالة مؤيدة بكلمة الله فإن ذلك امتياز يمنحك جرأة دانيال. أما الامتياز فهو أن ما تقوله حق، سواء أصدّقه الناس أم لم يصدّقوه. قال يسوع "كلامك هو حق" (يوحنا ١٧: ١٧). ودعا بولس الكلمة "كلمة حق الإنجيل" (كولوسي ١: ٥). إننا نعيش في عالم ليس فيه إلا شيء واحد ثابت، وهذا الشيء هو التغيير. إلا أن لنا كلمة الله، وهذه الكلمة هي الحق الأبدي. قال بطرس: "... مولودين ثانية، لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحيّة الباقية إلى الأبد. لأن كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب، العشب يبس وزهره سقط، أما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد. وهذه هي الكلمة التي بشّرتم بها" (١ بطرس ١: ٢٣- ١٥).

ثانياً، ابتسم، فالابتسام يساعدك. إن أقرب رابطة تصل بين شخصين هي الابتسامة التي تعبّر عن المودّة. الابتسامة تحدّ من اضطرابك ومن عداء سامعيك. إن هذه كما قلت هي أحد الأشياء التي تعلّمتها بعد اجتياز كثير من الصعوبات.

سافرت مع الزميلين لورن ساني ووالت هنريكسن في رحلة للخدمة إلى شمال غرب الولايات المتحدة. وعندما وصلنا جامعة أوريغون الحكومية دهشت لرؤية لافتات ضخمة معلّقة على جدران قاعات النوم في الجامعة وقد كتب عليها: "ليروي قادم إلينا". دبّ فيّ الخوف في الحال. فقد تخيّلت أننا إذ نجتمع بالطلاب ونكلّمهم سنواجه عصابة من الأشقياء تنتظر لتسلخ جلدي عن لحمي وأنا حي. فها قد جاء ليروي، إذن هم في انتظاري.

انعقد الاجتماع الأول في إحدى غرف الصف الضخمة، وكان الحضور كبيراً. وكنت أشعر بتوتّر واضطراب مفكّراً بما قد يحدث. وقف قائد الاجتماع وهو موظف في الجامعة فافتتح الاجتماع ثم دعاني للكلام. نظرت إلى جمهور الطلاب فلاحظت وجود مجموعة من المشاغبين بينهم. فبدأت كلمتي وأنا متجهّم الوجه، فقلت ما أردت قوله بصرامة ووضوح. واستغربت أنهم تقبّلوا كل ذلك بإصغاء واهتمام. وعندما انتهيت من كلمتي وعرضت أني مستعد للإجابة عن أيّة أسئلة يوجّهونها كانت الأسئلة جدّية وبإخلاص.

بعد انتهاء الاجتماع تقدّم عدد كبير من الطلاب إلى الأمام وصافحوني وقالوا: "شكراً للرب أيها الأخ. قدّمت إلينا الإنجيل واضحاً. شكراً لأجل مجيئك". وتلك كانت أول ليلة في حياتي أقضيها وأنا أبتسم كل الوقت.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي الطريق إلى مكان نومنا قال لي لورن ساني: "كان أفضل لو أنك كنت تبتسم من حين إلى آخر وأنت تلقي الكلمة. فذلك كان يضيف إلى الاجتماع بعض الدفء." أنا واثق أن لورن كان على حق، وتعلّمت من ذلك درساً ثميناً.

العنصر الرئيسي

الصلاة هي العنصر الجوهري الذي يدخل في تحضير الرسالة وفي تقديمها. عليك أن تصلي قبل بدئك بالتحضير وقبل شروعك في تقديم الرسالة. صلّ كي يعطيك الروح القدس الآيات والأمثلة المناسبة الصحيحة ولكي يمكّنك من إلقاء الرسالة مدعومة بقوّته.

هذا درس آخر تعلّمته من خلال الصعوبات. في أواسط الخمسينات عملت طوال سنتين مع فريق كان يقدّم البشارة إلى جمعيات للأخوة وأخرى للأخوات في جامعة بتسبرغ وفي معهد كارنجي. كنا نذهب مساء كل اثنين ونتكلم بالكلمة، ونخاطب الأفراد في مواعيد ننظّمها معهم خلال الأسبوع.

وكنا قد قرَّرنا في تلك الأثناء أن نصلي معاً قبل الذهاب إلى تلك الاجتماعات. في تلك الأيام كنا نعمل مع الحملة الجامعية للمسيح وكان الأخ بل برايت منشئ الحملة قد نصحنا بأن نمضي كثيراً من الوقت في الصلاة قبل الذهاب إلى أي من تلك الاجتماعات. وكان الرب قد وضع على قلوبنا أهمية الصلاة فكنا مواظبين على ذلك بأمانة. وكانت النتيجة أن بارك الرب جهودنا، وفي وقت قصير صمّم عدد كبير من الشبيبة أن يتبعوا المسيح، وكنا نقودهم في اجتماعات لدرس الكتاب المقدس. وانضم إلى فريقنا بعض منهم وصاروا يذهبون إلى الجمعيات ويقدّمون الشهادات عن اختبارهم الخلاص. وسار كل شيء سيراً حسناً.

ويبدو أننا شعرنا بالطمأنينة بعد هذا وتسلّلت إلينا الكبرياء أو ما يشبه ذلك، وفي الوقت ذاته قلّلنا من وقت الصلاة. وكانت ليلة هي الأولى من نوعها. كنا مشغولين، واجتمعنا بسرعة في المكان الذي سنتكلم فيه وصلّينا بعجلة. صلّى أحدنا عبارات قصيرة وأسرعنا إلى الاجتماع.

وأذكر أني شعرت من بداية الاجتماع أننا سنواجه الكارثة. بدأ قائد الاجتماع فلم يتمكّن من اجتذاب انتباه الحضور كما يجب. قدَّم البعض شهاداتهم فكانت آلية بلا حياة. وعندما وقفت لألقي الرسالة شعرت بفقدان عمل الروح في قلوب السامعين. وكلمتي كانت كطعام معلّب لا أكثر. انتهى الاجتماع فأسرع المسؤولون بتأدّب وتخلّصوا منا إذ غادرنا المكان.

 All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعدها تطلّعنا الواحد إلى الآخر وعرفنا ماذا كان علينا عمله. ركبنا سيارتنا وأمضينا فيها وقتاً مصلّين ومعترفين بخطيّتنا وطالبين من الله الغفران. تلك كانت المرة الأخيرة التي أهملنا فيها فترة الصلاة قبل الاجتماع. الرب سمع صلاتنا واستمرّ في مباركة عمله وكلمته. لقد تعلمنا جميعاً درساً من ذلك لن ننساه.

"ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدّام عهد جديد، لا الحرف بل الروح، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي" (٢ كورنثوس ٣: ٥- ٦). "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيلبي ٤: ١٣).

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com